

الأدب الهندي المعاصر

— ١٢ —

للاستاذ عزالدين الألوأي

الهندية

ومنذ الحركة «الابداعية» نزل الكاتب الهندي إلى ميدان تحرير المجتمع من الأوضاع الفاسدة سواء في الميادين الاجتماعية والاقتصادية. وكان الكاتب من قبل يتناول الطرق والوسائل المادية، أو بعبارة أخرى وسائل علمانية، لتحرر الاجتماعى والاقتصادى وما كان يعالج هذا الموضوع الحساس من الناحية الروحية والاخلاقية. ولكن هذه الحركة قد استهدفت إلى اتجاه ذمى تقدى متحرر كامل كما كانت تهدف إليه حركة «براجاتى وادا»^١ التي كان يتزعمها الكاتب الهندي الشهير «بريم جاند»^٢.

الأدب النقدي

و أن حركة «براجاتى وادا» لما كانت إلا حركة تقديمية هندية عاصلة تهدف إلى تحرير المجتمع من الأوضاع البالية، و تنبيه الوعي القوى نحوما تفتى في المجتمع من الفقر و الجهل و المرض و كما أنها نقطة التقاء بين الابداعية الاخيرة و الفلسفة الماركسية. و في الوقت ذاته نشأت في بعض الدوائر الأدبية حركة إبداعية هندية مبنية على فكرة ربوية خفية وعلى رحمة الطبيعة وجمالها بدون المساس بالشخصيات المشؤومة و المنكوبة كما هو الشائع في الروايات والقصص الابداعية الأخرى. وعرفت هذه الحركة باسم: «تشايا وادا»^٣ وهي بمثابة نقطة التقاء بين الابداعية الأولى و الفلسفة «الويدية» الهندية القديمة.

وهاتان الحركتان الرئيسيتان في الأدب الهندي لم تنخلا من آثار الإفراط والتفريط لأن الشعراء الذين كانوا يأخذون زمام الحركة «التشايواودية»، متغاضون عن مشاكل عامة الشعب وويلات الكروب التي تتأرجح فيها من الاضطهاد الطائفي والقمع السياسي و التخرج الاقتصادي وآلام المرض والجهل والفقر، بينما كان زعماء الحركة التقدمية مبالغين في تضخيم استغلال الجنس البشري بعضهم بعضا وتضخيم المأساة الاجتماعية بطريقة مرعبة تسمتز منها النفوس ومثلهم في ذلك كمثل المتهاونين من أصحاب الحركة الصادية الخليعة وهكذا شاهد الكاتب الهندي البشرية و مساعيها في ضوء جديد مبني على نظرية علمانية خالصة في سبيل الكفاح لأجل التحرير في شتى المراتق وفي مقدمتها المستوى الاجتماعي - الاقتصادي وأن هذه النظرية العلمانية في حد ذاتها تمثل ناحية من التحرر الفكري. ولكن الغرض الاساسي لحركة «براجاتي وادا» لم يكن التوصل إلى هذا الاتجاه الذهني المتحرر الكامل وكانت في أيامها الأولى، تتطلب تعاون جميع العناصر التي تضم مثل هذه الفكرة التقدمية في جوائنحها.

و تحولت هذه الحركة من بدايتها الشائكة كنشاط أدبي لتوسيع نطاق المشاركة الوجدانية الاجتماعية للكتاب، وتقدير أهمية الآداب و الدور الذي ينبغي أن تلعبه في الميادين الاصلاحية الشعبية إلى نظرية قريبة للفلسفة الشيوعية الكاملة مستنكرة جميع طبقات كتاب التقاليد الديموقراطية المتحررة الذين ساهموا و أيدوا هذه الحركة من مهدها في مختلف مراحلها. وكما تزداد ارتباطا بالشيوعية بدأت الحركة أن تكون أدبية سياسية فوق الاعتبارات الأخرى وصارت أفكار الحركات الابداعية الأخرى في منأى

عنها بحكم العرف السياسي الذي تسيطر عليها. وما كان روادها الكبار بعيدين عن الشائبة «الصادية»، قبل أن تصير تحت وطأة التصلب الكامل في الميدان الفكري التقدمي وفي مقدمة هؤلاء الرواد «ياشبال»^٢ (١٩٠٤ م) و «ناجارجن»^٣ (١٩١١ م) و «راميشوار شكلا»^٤ (١٩١٥ م) و «نريش مهتا» (١٩٢٤ م) و إذا أردنا الشاهد من خارج دائرة الادب الهندي على المظاهر التقدمية في اللغات الشقيقة فان مقالات ومؤلفات «كريشان جندار» و «خواجه أحمد عباس» لشائعة و معروفة في ميدان الانشراح الصادي.

بريم جانند

وانتمقلت الروايات الهندية بيد الكاتب الأديب «بريم جانند» من الاعتقاد الشائع الخاطي أن الكتابة التقدمية يجب أن تدور حول العمال الكادحين والفلاحين في الحقول، إلى شخصيات أصيلة في الحالات الراهنة في المجتمع. واتسمت رواياته بانزان طبقى بعيد عن الورطة التي وقع فيها بعض دعاة حركة «براجاتي وادا» في عصره. و بناء على كون معظم كتاب هذه المدرسة منتمين إلى طبقة مدنية ما كانوا مكترئين بعقبة الشعب الذي يريدون تصويرهم ومعالجة قضاياهم وحل مشاكلهم. وأدى هذا الموقف إلى وجود كمية وافرة من النقد المتحايير مدفوعا بقصر النظر و التطرف الفكري. وهؤلاء الكتاب لم يصرفوا اهتماما بالغا نحو الأعمال الأدبية «بريم جانند» الذي اعتبروه رائد الأدب الهندي الحديث وقائده.

(١) مطبوعات الأكاديميات للآداب الهندية

Rameshwar shukla (٤) Nagarjun (٣) Yashpal (٢)

واختار «بريم جاند»، كأول روائي منظم في الهندية شخصياته من الطبقات السفلى ومن جماعة الفلاحين الذين اختلطوا به أو اختلط بهم، وما كان يفلت من قلبه الوقاد النظام الاقطاعي الارستقراطي المنهار، والوعي الاجتماعي العام في أوساط طبقات الأمة. وكان يصور الحياة الريفية وحالات العمال والفلاحين بكل أمانة وإخلاص وفي غاية العطف والحنان. وامتازت رواياته دائما بحسن اختيار المواضيع الحساسة و الفصول الواقعية المحكمة وكانت الأدوار في غاية الدقة والاتقان و حسن التصوير والتوضيح للوقائع. وهكذا أتت كتاباته إلى مضمار الإصلاح الريفي والفكري والاجتماعي في أوسع معانيها وأدقها.

العصر الاصلاحى

إن الحركتين السابقتين والنهضات العامة التي حدثت في الميدان الأدبي في الهند وخارجها ونشاط حركة الآداب الاجنبية وتبادل الزيارات والبعثات الثقافية بين البلدان المختلفة فكلها دفع الكتاب في اللغة الهندية أيضا إلى دراسة أحوال المجتمع والوقوف على طرق حياته وتناولها في أعمالهم الأدبية بحثا ونقدا ومحققا ونشدا للعلاج الناجع لما أصابه من علل وأمراض وطلبا للوسائل الكافية لمحو الأمية وإزالة الفقر من الطبقات المختلفة التي كانت تكابد الآلام والعناء تحت وطأة التعقيدات الاجتماعية البالية والعرف البالي الذي تسرب إليه الوهن والضعف حسب تقلبات الزمن وتطورات العالم. ولعب الشعر دورا هاما في هذا العصر مع أنه كان يتمسك بأسلوبه التقليدى القديم ويدور حول الأخيلة والتشبيات القديمة. وأن الشاعر الشهير حينذاك «مايتلى شران جتا»، من أتباع تلك المدرسة أبدى مرونة فكرية وفضافة فنية في التمسك بالمبادئ الانسانية والدعوة إلى المثل

العليا في الحياة ، بينما كان الشاعران د مكن لال جترويدي^١ (١٨٨٨ م)
و د بالاكريشنا شرما^٢ (١٩٠٨ م) المعروف بلقب « ناوين » من الشعراء
الوطنيين الخياليين الميالين إلى فن التلميح والرموز .

وكان الشاعر الغزلي « بالاكريشنا راو » (١٩١١ م) الذي ينتمي
إلى مدرسة « تشايباوا داه » أسدى خدمات جليلة في ميدان القصائد الغزلية . وقد
امتاز أسلوبه بالبساطة والسهولة بحيث يقرب شعره إلى القلوب .

❦ القصص الخيالية ❦

إن التقدم العام في الفكر العلمي والنظرية الفلسفية ترك أثرا فعالا
في القصص الخيالية في الأدب الهندي . وقد استهدف كتاب ذلك العصر
إلى تصوير حياة الشعب كما هي لتكون زبنا للمصلحين الذين يعملون لرفع
مستوى مرافق حياة المجتمع وقد نشطت فيه أيضا القصص التاريخية التي
توضح الوقائع القديمة وتصور الأساطير الشهيرة ومن الذين حرزوا قصب
السباق في هذا المضمار ، « بهكوات شران أبادهايا »^٣ (١٩١٠ م) إذ كان
يصور المناظر العامة لتطورات المجتمع من العصر « الويدي » إلى العصور
الوسطى ، وأما « راهول سنكرتيانا »^٤ (١٨٩٥ م) فكان يحاول لتوضيح طرق
الحياة في الجمهوريات القديمة ، بينما كان « رنجايا راجهوا »^٥ (١٩٢٢ م) يهتم
بمدينة « موهن جودارو » .

و عمالابغني على الباحث المحايد أن هذه المحاولات لا تخلو من
المبالغات أو الأخطاء التاريخية الواقعية ، مع وفرة علوم كتابها ، ودقة معانيها

(١) Makhnial Chaturvedi (٢) Balakrishna Sharma (٣) Bhagavatcharan

(٤) Upadhyaya (٥) Rangoya Raghava

(٦) Mohenjodaro

واختيار أساليبها . لأنهم بنوا مواضيع قصصهم على نظريات خاصة قبل اعتبارات تاريخية علمية محضة . وكرس « راهول سنكرتيانا » كتاباته لمحو الفوارق الطبقية والاجتماعية وأن « ياشبال^١ » كان يسعى للنهضة النسوية . وأن الكتاب الشهير « لهزاري براساد^٢ » (١٩٠٧) « تاريخ حياة بانابها^٣ » في مثابة وثيقة تاريخية عن العصر بأسره في القرون الوسطى (وقد اختارت أكاديمية الآداب الهندية هذا الكتاب للترجمة إلى اللغات الهندية المحلية الأخرى وترجم فعلا إلى لغة « مليالم » لغة ولاية « كيرالا » بجنوب الهند) .

وبين فيه الكاتب الكبير بطريق تاريخ حياة شخصية عظيمة الأحوال الخارجية لذلك الدور بل والحالات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية الراهنة حينذاك وصارت هذه الرواية فريدة في نوعها في اللغة الهندية في أسلوبها ونسقها وذوقها الفني وزخرفها الانشائي ، ومع كونها في أصل سنسكرتي خالص إلى حد كبير فهي سهلة المنال ويسيرة الفهم وهي ظاهرة حية خالدة في عالم القصص التاريخية وإذا استثنينا الصفات الوثيقية فإنها « طرفة » قصصية وعمل أدبي خالد نشأ في الأدب الهندي خلال « أيام الحرب العالمية العظمى » . ولا يمكن أن يقال بأن هذا الكتاب الذي هو من نتاج عالم هندي سنسكرتي كبير وأستاذ جليل ونقاد حكيم قد نال قبولا وذيوبا يستحقهما . ومن الروايات الجديرة بالذكر في ذلك العصر أيضا ، روايات الكاتب المعروف « ويرينداونلال ورما^٤ » (١٨٨٨) ، التي تدور حول زوال النظام الاقطاعي في البلاد .

Banabhatta K1 Atmakathā (r) Hazari Prasad (r) Yashpal (i)

Vrindavanlal Varma (t)

الانسانية

حدث تطور خطير في فترة الحرب أيضا فلم يكن ذهنيا مثل
«تشايا وادا» أو موضوعيا مثل «براجاتي وادا» بل كان تحولاً أساسياً نحو تقويم
الانسان وتهذيبه وهو نشدان حقيق لشخصية الانسان وكرامته وذاتيته،
نتيجة للوعى الواسع والشعور المعنوي الهام فكانت الحركتان المذكورتان
في الواقع، «أوجا طاخة لهذا الفيضان المتصاعد، لأن «براجاتي وادا»
كانت مظهراً لرد الفعل الناتج من العاطفية المتضخمة وتخيلات «تشايا وادا»
كما كانت الاخيرة رد فعل ضد المذاهب التربوية الناشئة و الزاهدة التي
كانت تسود العصر الذي سبقها. و بعبارة أدق فكل هذا وذاك ما هو
إلا آثار لتيار تطور جديرهام يدعى - قديماً - نشدان الذاتية أو الوجود
الشخصي. ولم يكن هذا الوعي الانساني وليد لغة أو بلد أو شعب بمفرده
بل هو نتيجة للتطورات العصرية في الغرب و الروحيات المتطورة في الشرق،
وهذا التحول الجديد قد رفض القيم التي كانت تعتبر من قبل مقدسة ذات
حرمة خاصة وكذلك تغاضى عن تقديس الاشخاص وعن منحهم مكانة فوق
الطاقة البشرية، و أعطى الارجحية للتقدم الصناعي والعلمي واستنكر
المذاهب التقليدية الوضعية التي تعرقل تقدم الانسان في مرافق الحياة المختلفة.
ولكن هذا القول لا ينطبق تماماً على حالات بلد واسع عريق مثل الهند
لأننا لانزال نرى مئات المذاهب والآراء الاسطورية تحث على تقديس ما
لا يستحق التقديس وتكبير ما لا يحقه من الاشخاص والظواهر الكونية الأخرى
مع وفرتها وكثرتها. وانعكست تلك الآراء في الأدب الهندي الشائع
اذ ذاك في مناطق «مدھيا ديش»^١ الواسعة الأرجاء.

النزعة المعاصرة

امتازت النزعة المعاصرة في الأدب الهندي بعدم التمايل إلى الأبطال وإن لم تكن معادية له ، و أما الكاتب الهندي الحديث لا يرى فرقا في الشعور وإدراك الامور في الشرق والغرب وأنهما يسيران في صوب واحد في آمال البشرية وآلامها . ويهتم الأدب الهندي المعاصر وكتابه بالرجل العادي وقضايا ومشاكله ، و يفتخر بعاديته وبساطته في الحب ، والفرح والسراء والضراء والمطامح والأمانى ولا يرى تضادا في بساطة الأدب وجودته و لا يعترف بتناقض بين ميزته و شعبيته لأن الأدب الحى الخالد هو الأدب الشعبى أو أدب الشعب . إن الانسان لعادى وفريد في وقت واحد . وهما صفتان متلازمتان تميزانه عن سائر الكائنات الارضية والسماوية ، وعليهما يتوقف نظام الكون ورفاهية البشر بحذا فيره . و على هذا الأساس يستوحى الكاتب الهندي مواهبه الادبية وعلق عليه آمال الأفراد والجماعات وأن القيم الانسانية الحقيقية هى التى تصدر من إنسان عادى لامن بطل روائى أو نظرى .

الشعر الحديث

إن الشعر المعاصر الهندي لمبنى على فكرة الانسان العادى ، و أن عناصره مشتقة من أفكاره وطرق حياته وأخلاقه ، بعيدا عن الآمال المعلقة في صرح السماء وعن التشاؤم أو التزهيد المتفشى في الآداب القديمة . وكما يعترف بكرامة الانسان وميزاته ومواهبه الفذة فلا ينسى صغر مركزه وقلة أهميته في هذا الكون الهائل الذى قد ترك هذا الانسان المتفاخر المتفاخر كأننا حيا في غاية البساطة وصغر الحجم يذب فوق

حفنة من التراب البالى فى الكون الذى يحتاج بعض كواكبه الى ملايين السنين لكي يصل ضوءه الى هذه الكرة الارضية ، مع كون سرعة الضوء أسرع الاشياء فى الكون الى يومنا هذا .

و إن مواهب الانسان لعظيمة وهائلة وهو مخزن القوى والمقدرات . ويستطيع أن يشحذها ويصقلها حتى يصل إلى مكانة مرموقة فى الحياة بشرط أن يدرك تماما ضعفه ومحال وهنه وإمكانية أخطائه وزلاته فى الخطوات التى تخطوها إلى الأمام بسرعة فائقة . ولهذا كله يهتم الشعرا الحديث بتربية القيم الاخلاقية للانسان بدون أن يخادعه بآمال كاذبة ويكاشفه بما هو ليس فى متناول يده . وهذه هى طريقة أقرب إلى الواقع اكثر منه إلى الخيال .

مدرسة «برايجوفا»

منذ عام ١٩٤٦م صدرت مجلة أدبية هندية من «إله باد» باسم «براتيكا» و بعد سنين انتقلت إلى دلهى ومع قصر حياتها قد تركت أثرا عابدا فى التطور الحديث للادب الهندى . و نشأت فى البلاد حينذاك طائفة من الكتاب فى اللغة الهندية يعرفون باسم «بارى مالاً» و ساهموا مساهمة فعالة فى تحرير وتزويد «براتيكا» . وكان كلهم أو جلهم متمين إلى المذهب «التجريبي» وقد استلحقت الحركة الجديدة لهذا الاسم لأن زعماءها كانوا يقومون يبحث عن القيم الانسانية وتجربة مع الاخلاق البشرية فى مختلف أدوارها وأطوارها . ورجح شعراء هذه المدرسة أن تدعى أشعارهم أشعارا حديثة تجريبية .

وتبرعت مدرسة « برايوجاوادا » بأعمال أدبية قيمة إلى مكتبة الأدب الهندي مع أن الوهن قد تسرب إلى جذرائها لعدم وجود معارضة منظمة لها كما كانت من قبل الحركة التقدمية المنظمة . وأصدرت هذه المدرسة عدة مؤلفات ومنشورات دورية قيمة وأعمالا أدبية أخرى نشطة . وبما هو جدير بالذكر بأن كتاب هذه المدرسة قد عرفوا بأصحاب المذهب الفردي ، لأنهم كانوا يعطون أهمية خاصة لقيم الأفراد والميزات الشخصية . وأتى هذا التنديد من قبل التقدميين الذين لهم مآرب ما في ذلك مع أن هؤلاء يعترفون كل الاعتراف بالحريات الشخصية والكلامية والفكرية وما إلى ذلك من مقتضيات القيم الانسانية الاساسية وأن كل تطور حديث لا يخلو من الخلل ومحل الانتقاد لسبب أو آخر . وما كنا مبالغين إذا قلنا بأن الكاتب المعاصر أكثر تحققا وتفهما وتوسعا في العلوم والمدارك من سابقه لأن المجال الذي أمامه أوسع والفرص السانحة له أكثر والوسائل التي أتاحت أمامه أسهل وأيسر . وهو أقرب إلى الدقة في اختيار الأساليب وتدقيق المعاني ممن هو قبله . وإن قيل عكس هذا مع أن الشعر الحديث يهتم بقضايا المجتمع الحاضر ويبحث حول السجايا الانسانية الماثلة أمام أعيننا بطريقة إنشائية عصرية .

❦ النثر في الأدب الهندي الحديث ❦

إذا كانت مهمة الشعر تصوير الأمور بطريقة جذابة خيالية بحيث تجب إلى القلوب وتقرّب إلى الأذهان بطريق الأمثلة والتشبيهات الحسنة ، فإن النثر يهدف إلى توضيح الأمور كما هي بدون إفراط ولا تفريط ورائده العدل وقائده المنطق ، ويتطلب تفكرا عميقا وبخا دقيقا مع الأداة القاطعة والبراهين الساطعة . وأن النثر الذي في صورة الشعر - ما يقال بالنثر الشعري -

لا يمتشى مع التطور الحديث في الأدب العالمى مهما كان نوعه وموضوعه .
ونظراً لأهمية النثر العادى واللهجات الشعبية فى التمثيليات والقصص
والمقالات والرسائل انصرف الكاتب المعاصر عن تقليد الماضى فى اختيار
الاساليب المعقدة والتشبيهات العويصة والمعانى الصعبة فى أذهان عامة القراء .
وتلعب الاذاعة ، فى الهند دوراً هاماً فى ميدان تشجيع الكتاب
الشعبيين فى أسلوب سهل عادى . وأن التمثيليات النثرية والقصص الدارجة
المخصصة لتذاع فى الراديو لنتقطة تحول فى تاريخ النثر الهندى . وي برتمة
كتاب التمثيليات النثرية الحديثة فى أوائل هذا القرن «أويندرا ناث اشك»^١
(١٩١٠م) و «رام كمار ورماء» (١٩٠٥م) و «لكشمى نارايين مشرا»^٢
(١٩٠٣م) و «بهارت بهوشن أجروال» (١٩١٩م) . وأن الكاتب
العصرى لا يستطيع أن يتغاضى عن الواقعة ويهرب عن مجريات الامور
وتطوراتها و فى الوقت ذاته لا يقدر على أن يزعم بأنه غير منحاى الى
مذهب بعينه أو نظرية خاصة واذا ادعى ذلك فما هو إلا زعم عسير الاثبات ،
ومع هذا كله فان الكاتب الهندى يحاول لأن يكون قلبه متحرراً من الميول
الفردية والانطباعات المدرسية المختلفة وقصارى جهده فتح ميدان فسح
أمام القارى العادى لاكتشاف ذخائر الأدب الهندى ومحتوياته بكل
وثوق وتفهم .

القصص الشعبية

إن القصص الشعبية الهندية مخازن كبرى لعادات الشعب ومعتقداتهم
ووجهة نظرم نحو الحياة فلا تخلو لغة من اللغات المحلية فى الهند عن قصص

Lakshminarayan (r) Ramkumar Varma (r) Upendranath Ashk (r)

Bharatabhushan Agarwal (r) Mishra

شعبية مليئة بمختلف مظاهر الحياة للطبقات العديدة و الطوائف المختلفة في البلاد. و بسبب اختلاط الحضارات و المدييات الآرية و الدراويدية القديمة وغيرهما من الواردة و الناشئة انتشرت سلسلة من القصص في طول البلاد و عرضها، متشابهة بعضها بعضا في الافكار الكامنة فيها و متقاربة في أساليبها و نسقها و إن اختلفت اللغات و اللهجات. و نجد فيها قصصا تدور حول المواضيع المختلفة مثل المعتقدات و الطقوس، و الاجتماعيات و الاقتصاديات و الانظمة السياسية و الدينية وغيرها. و أن الأدب الهندي - كسائر الآداب الحية الأخرى في العالم - يعطى أهمية كبرى للقصص الشعبية لأنها توضع صورة صحيحة واضحة للحياة الشعبية أمام القارى الذكى و أن الهند كانت توجه - منذ القدم - اهتماما بالغا نحو هذا النوع من القصص و تجلى فيها مظاهر الحزن و السرور، و الحب و العشق، و المودة و العداوة، و السعادة و الشقاوة، و مع أنها تفتح أمام الناس أبواب المعلومات عن الاجيال الماضية و الدروس القيمة التى تصير زبراسا في حياتهم، و تساعد أيضا على إدخال السرور و البهجة في القلوب بمعرفة الطقوس و المراسيم العديدة لأهالى القبائل و القرى النائية عن العمران، و لهذه الأسباب وغيرها فقد احتلت مكانة مرموقة في الأدب الراقى و امتلأت المكتبات العلمية و الادبية بهذا النوع الشيق من الكتب التى تسلى القلوب و تشدذ الأذهان و تزودها بما يغنيها و يتمتع.

و ذكر سابقا بأن المراكز الرئيسية «للهندية» تقع في الهند الوسطى المعروفة من قبل باسم: «مدھيا برديش، أو «مدھيا بهارت، (و أن «مدھيا» فى اللغة السنسكريتية و الهندية هى الوسط) و من الأنسب إذا

أن ننقل هنا قصة شعبية سائدة في أوساط الشعب في منطقة «مديا برديش»، وكتبها الأديب الهندي مبارك علي، وتدور هذه القصة حول مولد المغزل، وتخلله المعتقدات الهندوسية في الآلهة والتناسخ وغيرهما.

كانت حورية تقطن في الجنة و اسمها «بهركي»، وقد اشتهرت بالنسج بالخياط لأنواع من الاثواب الغالية منها والرخيصة وإذا أخذت يدها الخياط فتسج بالمرّة أجود أصناف الفينيلات و الاردية و القمصان و الجوارب وغيرها. وقد ذاع صيتها في أوساط الحور اللاتي يقمن معها في الجنة. وبلغ شأنها إلى أسماع ملكة الحور فأرادت أن تعلم جميع بناتها النسج وكانت في بحث عن ماهرة في هذه المهنة. منذ مدة طويلة. و قالت الملكة مرة لزميلاتها: أسمع بأن «بهركي» لتقوم بمهنة النسج في ضاية المهارة و الدقة. و إذا كانت مستعدة لأن تسكن معي و تعلم الاميرات النسج و الخياطة فأهلا بها.

فقالت إحدى الزميلات للملكة بعد تأمل كثير: و ما أدراك فان «بهركي» وحدها الماهرة في هذه المهنة؟ و يمكن أن يكون هناك عدد آخر من الحور يجدن الخياطة و النسج فن الأفضّل أن توجهي دعوة إلى الحور جميعا بحضرن حفلة خاصة فتقومى يبحث شخصى عن كل فرد يجيد هذه الصناعة، ثم تحرى مسابقة في عملية الخياطة لكي تفوز التي تحرز تصب السباق في الاختبار بميزة الإقامة في قصر الملكة و تعليم الاميرات. واستعجبت الملكة بهذا الرأي فأمخدت الاجراءات فوراً لعقد جلسة المسابقة. وجمعت مئات الحوريات اللاتي يعرفن الخياطة و النسج في القصر. و بذلن جهودهن في حظيرة الاختبار ليرين مهارتهن و دقة حرفتهن و جودتها

وأخيرا فازت « بهركى » بالدرجة الأولى ونالت الجائزة من الملكة بمشورة زميلاتهن المحكمات . وقالت لها الملكة : انت الآن فى غنى عن الإقامة فى بيتك ، ومنذ اللحظة صرت إحدى زميلاتى اللاتى أكن لهن كل احترام وتقدير ، فتقومين فى قصرى وتعلمين بناتى الخياطة والنسج ؛ وهكذا افتتح أمام « بهركى » باب الرخاء والرفاهية وصارت معلمة الاميرات وصاحبة النفوذ لدى الملكة ورجال القصر الكبار ، وأما الملكة فقد لاحظت فيها الحماس والفظاعة ونالت الاميرات بجاحا ملحوظا فى هذه الصناعة بيد « بهركى » والجوائز تنهمر عليها . ولما تمت النعم الوافرة « لبهركى » وصارت صاحبة الأموال الباهظة والمهارة الفنية ، والجاه العظيم ، والنفوذ الواسع لدى الملكة والاميرات بدأ الغرور يتسرب إلى ذهنها وعاملت بالغرسة والكبرياء مع الزميلات الاخريات للملكة . ودب الشقاق بينها وصاحباتها فى القصر وأخيرا شكت الزميلات الاخريات إلى الملكة عن عادات « بهركى » وخطورتها وكبرياتها و تعاضمها أمام الحور مع أن الغرور لا يلبق بهن مطلقا ، وأن الذنب الذى ارتكبه « بهركى » لخليقة لطردهما من الجنة . وعندما سمعت الملكة الحورية هذه الشكوى ثارت غيظا بمجاه « بهركى » لما اقترفته ذنبا لا يلبق بمكانة الجنة فقالت : كيف تتكبر بهركى ؟ وإذا تكبرت فليست بحورية فلا تستحق . طبعاً . للإقامة بالجنة . وإنى أعاقبها فوراً فخذنها إلى فى الحال !

وبعد لحظات أتت بها ثلاثة من الحوريات وقامت أمام الملكة فنظرت إليها فى غاية البغض والسخط فقالت : ماذا أسمع عنك ؟ فهل بدأت تخطرسين فى الجنة ؟ وهل تعلمين أن الجنة محرومة على الذين

يقترفون الغرور والموبقات الأخرى ؟ و هل تعرفين ما هي عقوبة الغرور في الجنة ؟ وهي الطرد منها فوراً وقانونها لن يسمح لأحد من هذا القبيل أن يقيم في حظيرتها . وقالت « بهركى ، بكل خضوع وخنوع : إنى أعترف بهذا الخطأ الذى ارتكته ولا أعود إليه أبدا . فاعفى عنى هذه المرة و إذا عملت شيئا من هذا النوع من الخطايا التى لا تليق بمقام الجنة مرة أخرى فعاقبى ، و أجابت الملكة فوراً : إن القانون لن يخرق لأجلك فلا بد أن تعاقبى بمقتضاه و عليك أن تتركى الجنة وتذهبى إلى الأرض . ولكنى أراعى أمرا فى شأنك فأعيدك إليها فى الصورة التى تريدينها فقولى فوراً رغبتك فيها وبأية صورة تحبين أن تشكلى ؟

وفى هذه الساعة أتى فقير إلى ساحة القصر الملكى وكان فى زى عجيب غريب عن أزياء أهالى الجنة فاستغربت الحوريات فسألته الملكة : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وأنت فى شكل غريب لم نر مثله من قبل . و أجاب الفقير فوراً : إنى إنسان عادى أعيش فى الأرض . وقالت الملكة : أنت إنسان وتعيش فى الأرض ونعرف بأن أهالى الأرض لثماذج للغرور والفطرسه . ومثل هؤلاء لا يستحقون المجيئ إلى الجنة والاقامة فيها فكيف الوصول إلى الجنة ؟

أجاب الفقير : إنى تركت الغرور و شرور الدنيا الأخرى و قضيت فترة طويلة فى العبادة والتحنث ، ووقفت حياتى كلها فى سبيل خدمة وطنى وقومى وضجيت بكل رخيص وغال فى صالحهم ولهذا بلغت درجة السعد ووصلت إلى هنا يا حورية الجنة !

قالت الملكة فى غاية السرور : و إذا كان الأمر كذلك فأنك فأنك رجل طيب و يسعدنى الترحيب بك فقل لى أية خدمة تريدها منا من الجنة ونحن رهن إشارتك !

قال الفقير: أيتها الملكة! إن سكان الأرض لن يمتهى الضيق والضعف من العيش، ولا ينالون فيها القوت الكافي والكساء اللازم حتى يستروا عوراتهم بأوراق الأشجار ويقضوا معظم أوقاتهم في الأوغاد والغابات في طلب الرزق والكساء!!

فأعطيني شيئاً يساعد على نسج الخيوط وصنع الأثواب اللازمة لستر عورات الناس وسد آثار البرودة والحرارة الشديدين. وأن القطن والصوف ينبتان بكثرة في الأرض ولكن أهاليها لا يعرفون الوسائل التي تستفاد منهما وتصنع منهما الكسوة.

قالت الملكة: أيها الفقير الطيب خذ مكانك الآن وإذا شاء الإله فاني أعطيك شيئاً يفيدك وأهل الدنيا جميعاً ويكون عوناً على نهضة الحضارة الإنسانية والتقدم الاقتصادي فيها. ثم توجهت إلى «بهركي»، فقالت مخاطبة إلهها: في أية صورة تريدان العودة إلى الأرض؟

وقالت «بهركي»: إنني لا أريد الذهاب إليها في أية صورة أو شكل وإذا كنت مصرة علي ذلك فأرسليني إليها في شكل يكون مفيداً لجميع البشر وتفرح قلوبهم وتزول متاعبهم وأكون موضع استحسان وقبول لدى الجميع.

وقالت الملكة ضاحكة: إنني أعرف تماماً بأن «بهركي» لشاطرة جداً ولاشك لأنك طلبت بأمور ثلاثة تعيشين بها في الأرض مكرمة ومعززة وحمورية أرضية كاملة مدى الأيام فلا بأس فاني أمتحك الآن شكلاً يقضى جميع مطالبك ورغباتك في الأرض. وسرعان أن أخذت الملكة قليلاً من الماء في يدها ونفخت فيه ترقل بعض الكلمات فرشتها

على «بهركى»، فتحولت فوراً إلى «مغزل»، صغير وسقطت على الأرض،
والتقطت الملكة منها «المغزل»، وأعطته إلى الفقير فقال الفقير مستسلماً له
منها: أيتها الملكة الحورية! إنه يبدو شيئاً تافهاً وماذا يعنى للبشر؟ أجابت
الملكة: «إنه صغير حجمه بل وخطير أمره، ويكمن فيه تقدم الإنسانية جمعاء.
والحضارات بحذافيرها. ويستخدم في صنع الأزياء كلها ويدخل السرور
في قلب كل بائس فقير و يعنى كل بيت صغير و يزين كل قصر كبير و يحبه
الكبار والصغار والشيوخ والشباب على حد سواء. ويفتح طريق الرقى
في مرافق الحياة كلها فخذها و اذهب به توالى إلى الأرض ١١».

و يقال بأن الانسان قد بدأ استخدام المغزل و شرع به فتح وسائل
المدنيات الحديثة و أسباب الحضارات العصرية، و دخل كل بيت مدر
وحجر رافماً أعلام الرقى و الرفاهية و الرخاء. و هذه قصة شعبية تحمل في
طياتها عظات بينات و دروساً قيمة إلى جانب تصوير واضح لمعتقدات
الطوائف الهندية القديمة حول الكون و الحوريات و تناسخ الأجسام
و اعتقادها الراسخ في القيم الأخلاقية و الثواب و العقاب المترتبين عليها
تحلياً و تخلياً. و لا تخلو أيضاً عن النظرة الوقادة نحو التقدم الانسانى
المادى و المعنوى على قدم المساواة.

الأدب الهندي المعاصر

— ١٣ —

الاستاذ عمى الدين الاوليا

السنسكرتية

يرجع تاريخ اللغة السنسكريتية في القارة الهندية إلى أربعة آلاف سنة مع أن أقدم الآداب الهندية في هذه اللغة الكلاسيكية الكتاب المعروف درك ويداء و يعتبر أقدم الكتب عن سلالة الآريين بأكملها - و يأتي



شكتلا يستأذن رشي

بحث مفصل عن هذا الكتاب في محله نظرا لمكانته المرموقة في التاريخ الآري في الهند وهيئة اللغة في عصر ما قبل التاريخ والمذاهب والمضاربات بوجه عام. وأن الآداب السنسكريتية لحية خالدة الى يومنا هذا في طيات الكتب الدينية الهندوسية المعروفة بـ «ويداس» والكلاسيكية الهندية الأخرى العديدة. وأن الأسلوب الأدبي الرائع لهذه المؤلفات القيمة، والقواعد اللغوية والقوانين النحوية وطرق الانشاء في التمثيلات السنسكريتية القديمة، يدل على أنها كانت في تلك العصور المدببة لغة حية شائعة في أوساط الشعب والميادين العلمية والأدبية والدينية، وفي الوقت ذاته كانت تحتل مكانة اللغة الرسمية والثقافية.

وينحدر معظم اللغات الهندية المحلية من أصل سنسكريتي ولايزال نقطة الالتقاء بين هذه اللغات الاقليمية المختلفة وليس من المبالغة في شئ أن يقال بأن اللغة السنسكريتية تلعب دور العامل الفعال في خلق ثقافة مشتركة ووحدة أدبية في شتى أنحاء القارة الهندية. ونرى الأصول السنسكريتية متمكة في القواعد النحوية والتراكيب اللغوية لعدة لغات هندية محلية سيما اللغات الشائعة في جنوب الهند مثل «مليالم»، و«تلجو»، و«كندية»، و«تمل». وأن الحروف الهجائية لها لجارية على أصول الهجائية السنسكريتية نفسها. بل وأن هذه اللغات، سيما «مليالم»، و«تلجو»، مزيجة من السنسكريتية واللهجات المحلية.

وبدأت السنسكريتية تبت نفوذها وترسل شعاعها إلى مناطق آسيا الوسطى والشرق الاقصى منذ القرن الأول قبل الميلاد بطريق «البوذية». ومنذ القرن الثاني للميلاد صارت اللغة السنسكريتية، معطية الثقافة الهندية

إلى جنوب شرقى آسيا و منحت لهذه البلاد تراثا مليئا بالتمثيلات و الروايات و الأشعار و الموسيقى و الرقص و النحت، و هكذا لم تعد السنسكريتية عامل التجانس للقارة الهندية فقط بل جعلت الشرق الأقصى و جنوبى شرق آسيا تحت تجانس ثقافى متين . و خلال هذه الفترة الذهبية، تركت السنسكريتية أثرا فعالا فى جميع الميادين الادبية و الفلسفية و الفنية و العلمية وغيرها . و من بواعث الأسف للعالم الادبى أن صفحات مجيدة من الأدب القديم تبقى فى غياب الجهل و الامهال فى المخطوطات السنسكريتية المحفوظة فى مختلف المكتبات الاثرية مع أن جزءا كبيرا منها قد فقد على مر العصور و ملامت الزمن، و لم يبق فى أيدينا منها إلا ما طبع أو تناقل الألسنة جيلا بعد جيل، و لا يستطيع أحد أن ينكر النظام الفلسفى و التمثيلى و الروائى الذى ينطوى عليه الأدب السنسكرتى القديم مثل « أبانيشاد، و « كيتا، و غيرها من التراث الهندي الذى صار جزءا هاما للفكرة العالمية، و أما الأساطير السنسكريتية فلم تشجع آداب اللغات المحلية فقط بل أوجدت - بفضل شخصياتها الروائية و المبادئ القيمة - نظريات إنسانية و مبادئ سياسية، و أفكارا وطنية و قواعد خلقية عظيمة . و تعتبر تمثيلات كاليداس و « سدراكا، و أشعارهما فى المكاتة الأولى فى هذا الحقل الزاهر .

و من الميزات التى تركتها اللغة السنسكريتية فى اللغات المحلية الاخرى أن كل كاتب أو خطيب عند ما يصل إلى قمة الاساليب الادبية فى اللغة التى يتناولها ينساق إلى اقتباس كلمات أو فقرات من الآداب السنسكريتية الخاصة ليزيد ما يقوله روعة و بهجة . و قد صارت السنسكريتية جهازا مشتركا لا يمكن الاستغناء عنه كاتب أو أديب فى لغة محلية . و يمكن أن يقال بأن الوعى

المجيد الذي ساد البلاد بعد الاستقلال يرجع الفضل الكبير فيه إلى التراث القديم الزاهر للبلاد المنبعث من أعماق الآداب السنسكريتية وكذلك الروح التي تلعب وراء الإنتاج الأدبي الحديث السنسكريتية ولو كانت اللغات المحلية الواسطة المباشرة .

وتتماز الآداب السنسكريتية الكلاسيكية القديمة بجميع أنواع جودتها الأسلوب، و دقة المعاني، ووفرة الخيال و التشبيهات الخصبة الجذابة .. و بلغت التمثيليات السنسكريتية إلى أوجها في اختيار الشخصيات الروائية و المشاهد و المحاورات الكلامية بحيث تدانى تماما مع التمثيليات و المسرحيات العصرية . و أن فن التحسينات، السنسكريتية المعروفة باسم : « أنكارا شاسترا » لتساعد مساعدة فعالة في سبيل النهوض بالآداب الحديثة للغات المحلية الهندية العديدة . و من هذه الناحية فلا مانع من القول بأن السنسكريتية لها جذور متأصلة في عالم الآداب و إن لم تكن معدودة الآن في مقدمة صفوف اللغات الحية الحديثة .

❦ أثر اللغات الأخرى في تطوراتها ❦

شأن السنسكريتية في الأخذ و العطاء شأن اللغات العالمية الأخرى .. و يبدو من تاريخ تطورات هذه اللغة خلال العصور الطويلة و خصوصيتها و نموها؛ الانطباعات الخارجية الطارئة عليها و الاثر الذي تركته اللغات المعاصرة الأخرى في مختلف الميادين الأدبية و الالفاظ و الأوزان و البحور و المصطلحات الأخرى، و كما أنها تلقت و احتضنت في حجرها التقاليد و الأشكال و المظاهر التي كانت تسود المناطق التي احتلتها بنفس الروح التي منحنت

الكثير للاخرى و اعتقدت السنسكريتية - إذا صح هذا التعبير - في مبادئ في التعايش السلبى القائلة : « عش ودع الغير ليعيش ، و رأت عناصر الجمال في الثقافات العالمية كلها .

و امتازت اللغة السنسكريتية بمقدرة ذيووعها في جميع أنحاء الهند و بث أجنحتها في أوساط اللغات المحلية كلها مع الاحتفاظ بقيمتها و قيم شقيقاتها بعيدة عن التصارع أو التنافس . و كان الكتاب السنسكريتيون في اطلاع مستمر على الحوادث المعاصرة لكي يستفيدوا من كل حدث هام بحرية كاملة . و في العصور الأولى استفادوا من اليونان و الروم ، خصوصا في الرياضيات ، و في الأيام المغولية تعلموا الفارسية و ترجوا منها و من العربية بحيث نشأ هناك امتزاج سنسكريتى - فارسى و طيد الأركان ، و مزجوا العناصر التى أخذوها من الخارج مع الأساليب السنسكريتية الأصيلة مع الاحتفاظ بشخصيتها الخاصة . و في العصور الاسلامية الذهبية اشتدت روابط السنسكريتية مع بلدان غرب آسيا إذ قام الخلفاء العباسيون بنقل العلوم الطبية و الرياضية و الحسابات إلى العربية - و من المؤلفات الهندية السنسكريتية القديمة المنقولة إلى العربية و المتداولة إلى الآن بكل ذيووع و انتشار « كيلة و دمنة ، ترجمة ، پنج تترام » - و لنا بحث عنها في أواخر هذا المقال - و أما الغرب فقد أخذها بطريق التراجم العديدة القيمة التى رعاها العرب ، و يمكن لنا الآن أن نقول بأن الاتصالات الاوربية الجارية في العصور الحديثة بمثابة استئناف لعلاقات الهند الفكرية القديمة مع أثينا و الاسكندرية و روما و بلدان البحر الأبيض المتوسط الأخرى . و دخل الأدب السنسكريتى في مرحلة جديدة تبيحة بازدياد النفوذ الاوربى الحديث

سواء في المناهج التعليمية و النظم الادارية و الميادين الفكرية و الاساليب
الادبية .

العصر البريطاني

في بداية العصر البريطاني في الهند كانت التعاليم السنسكريتية بأيدى
علماء السنسكريتية تجرى في طول البلاد و عرضها بنشاط بالغ ، و أثناء فترة
القرن التاسع عشر كان عالم السنسكريتية «بانديت» و ابنه المتعلم يكتب معظم
تبرعاته الأدبية والعلمية في السنسكريتية وحدها ، ومع تيار انتشار وسائل الطبع
العصرى و خمود مجال الطبع و النشر في السنسكريتية بقيت الآداب السنسكريتية
مدفونة في طيات المخطوطات و أرشيف المكتبات ، و لذا صار من الصعب
أن نسردها بيانا مفصلا دقيقا عن الادب السنسكريتى الحديث لكون نتاجه
كله أو جله غير مطوع بحيث يحتاج إلى جهود جبارة متواصلة فى إجراء
تحقيق علمى عنه ، وكتب عدد كبير من الكتاب المعاصرين الاشعار
و المسرحيات و التمثيليات و القصص وغيرها فى السنسكريتية و لكن الوقت
لم يأت بعد لترى هذه الأعمال الأدبية نور الانتشار الواسع فى أنحاء
البلاد كلها . ولا يبنى لأحد أن يتجاهل بأن استمرار النشاط الأدبى الايجابى
فى اللغة السنسكريتية لم يكن عرضة للتوقف لأجل عدم المجال الواسع فى
مضمار الطبع و النشر ، و أنتجت كمية مرموقة من الآداب الحديثة فى تلك
اللغة بحيث لا تقل أهمية أو مداواة مع اللغات الحية الاخرى فى العالم .

و إلى جانب الكتاب القدامى فى شتى نواحي آداب اللغة السنسكريتية ،
قد نشأ فى جنوب الهند كتاب فى عدة مواضيع أدبية فى أسلوب حديث
و فى مقدمتهم : « بهتا سرى نارايانا شاسترى » الذى ألف ثلاثة و تسعين

تمثيلية، و «رادها منجالام نارايانا شاستري»^١ صاحب مائة وثمانية مؤلفات أدبية حول مواضيع أدبية مختلفة، و «كاويا كاتنام جنابتي شاستري»^٢ هو أمثالهم من الذين يفوقون أقرانهم في النواحي الأخرى من مراكز اللغة السنسكريتية وآدابها.

ووضع الأديب السنسكريتي الشهير «راما شاستري» من ولاية ميسور كتابا في شكل مكالمات بين «راما» و «سيتا». وهناك كتب عديدة وضعت في السنسكريتية حول النقد الأدبي وعلم التاريخ وتاريخ آداب اللغة. ونبغ عدد لا بأس به من مهرة الأدب السنسكريتي في اللغة الانجليزية و آدابها أيضا مثل الدكتور «رادها كرشنان» و «راجا جوبالا جاري».

ولما أدرك الحكام البريطانيون نفوذ العالم السنسكريتي في أوساط عامة الشعب وما للغة السنسكريتية من أدب واسع في التمثيليات والأشعار وتاريخ العظماء والملاحم وغيرها من النواحي الأدبية الرفيعة أوعزوا الكتاب السنسكريتين لوضع تواريخ العظماء البريطانيين ثرا ونظما، وكذلك الروايات و التمثيليات في الاطراء على الحكم البريطاني و مآثر رجاله. ووجدوا تلبية منهم بطريق الأشعار و التمثيليات بطريقة اتبعها أسلافهم في مدح العاهل الملكي في «وجيانكرم»^٣. وهكذا دخلت بريطانيا وعظماؤها وسياساتها - إلى حدما - في الأدب السنسكريتي و ألف «راماسوامي راجا» من «تنجور» في جنوب الهند كتابا في السنسكريتية عن بريطانيا وأشار فيه إلى حياة الشخصيات الهندية البارزة أيضا. و بحث «سري نواسا جاريا» عن الحرب العالمية الأولى في كتابه السنسكريتي الشهير

Radha Mangalam Narayana Sastri (1)

Vijaya Nagaram (3) Kavyakantam Ganapathi Sastri (2)

Sri Nivasa Charya (5) Ramaswamy Raja (4)

« آجلو جرمني يدها ويوارانم » (الحرب الانجليزية الألمانية) . وكتب « سري جوبالا أينكار » من مدراس ، قصيدة الغرام في السنسكريتية ، ويدور موضوعها حول تضحية الامبراطور البريطاني ادوارد في سبيل حبيته .
و ان المكتبة الشعرية السنسكريتية مليئة بالقصائد التاريخية للعائلات الملكية المحلية العديدة و لكن الأدب الشعرى الحديث السنسكريتى لا يخلو عن البحث التاريخى عن الهند تحت الحكم البريطانى . و أن الكتاب المعروف « إتهاسا بيثكا » فى خمسة أبواب يتناول الحروب التى وقعت فى عهد ساطان ثيپو ، و ملوك مراتا . و كما أن « بهارتا إتهاسا » يعطينا فكرة عامة عن تاريخ الهند فى النثر السنسكريتى .

التواريخ الشخصية

إذا نظرنا بعين التحقيق نرى ورقا دقيقا فى الأساليب المتبعة قديما و حديثا فى وضع التواريخ الشخصية لأن الأدب القديم فى التواريخ الذاتية كان يتناول - إلى جانب حياة الشخص المعنى و طرق عيشه - الحالة السائدة فى زمنه و الظروف المحيطة به والبيئة التى عاش فيها ليكون بمثابة جولة شاملة تاريخية فى ذلك العصر . و أما الأسلوب الحديث فى هذا المضمار فينحصر فى معالجة الحوادث و الظروف المحيطة بشخصية معينة ، بناء على أن الكاتب العصرى يفرق بطريقة علمية بين شتى أنواع التاريخ و فروعها ، من العلمى ، والدينى و السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى و غيرها ، و فى التواريخ الذاتية أيضا يتنوع فى اختيار الشخصيات من العلماء و الشعراء و الأدباء و الساسة الكبار و المصلحين الدينيين أو الاجتماعيين .

ومن التواريخ الشخصية الشهيرة في السنسكريتية « شيوا راجا وجيا»^١ للكاتب المعروف « أمبكا دتاوياسا » من جيور ، عن تاريخ حياة « شيواجي »^٢ و « بهارتا ويرا رتنا مالا »^٣ للمؤرخ « سري پدا ساستري هسوركار » عن عدد من الأبطال الهنود مثل « پريتوي راج » و « شيواجي » و « رانا پرتاب سنغ »^٤ و كتاب « سيكهرم شاستري »^٥ عن « راني أهليا باي » في منظومة سنسكريتية . هذا إلى جانب عدة مقالات و رسائل كتبت عن تواريخ عائلة معينة أو شخصية خاصة ، تتناول بعض النواحي من نشاطها السياسي أو العلمي وما إلى ذلك .

وصار الصوفيون والنساک أيضا من مختلف أنحاء البلاد موضوع المؤرخين جماعات أو فرادی حيث نرى مؤرخا يكتب عن عظيم من هؤلاء ، يحاول الآخر عن جماعة منهم أو الذين ينتمون إلى مذهب بعينه . و مثلا وضعت الكاتبة السنسكريتية من ولاية ميسور « الملاما »^٦ كتابا قيما عن بوذا و دعوته في أسلوب جذاب سهل المنال باسم : « بدھا چرترا مریتا » بينما نجد « هسوركار » قد ألف كتابا جامعا عن « ولبھا چاریا » و « رام داس » باسم : « بهارتا سادھو رتنا مالا » و قدم « كاليهار داسا واسو » تاريخ حياة كل من « سري جيتنيا » و معاصره « أدوايتا » في اثر خلاب سلس ذلق و أما الكاتب القدير « أكیلا نندا سرما » فقدم تواريخ زعماء الديانات الجدد كلهم في كتابه المعروف عن حياة « ديانندا » و سماه « ديانندا دجوجيا » . و قام عدد من المؤرخين بوضع كتب طويلة عن علماء البلد و أدبائه ، في مختلف العصور ، فكتب « چندرا بهوشن سرما » عن حياة

Bharata Vira Ratna (3) Sivaji (2) Siva Raja Vijaya (1)

Sakharam Sastri (5) Rana Pratap Singh (4) Mala

Alamamma (6)

الأديب السنسكريتي الشهير «بجنا رام» من بنارس، و وضع «ناراينا شاستري» كتابا شاملا عن حياة خمسة من مشاهير الأدباء. بينما نشرت المجلة الأدبية السنسكريتية المعروفة «سنسكرتا چندركا» سلسلة مقالات تاريخية و أدبية عن أبرز الأدباء في اللغة السنسكريتية قديما و حديثا. و أما السير الذاتية، فلم تتمكن في الأدب السنسكريتي إلا في السنين الأخيرة. و كتب الأديب «درحاند سوامي» تاريخ حياته باسم: «ودوديا» و من السير الذاتية الصادره في الأخيرة «إشورا درشنا» لسوامي «تپوونم» من «مالابار» بولاية كيرالا، وهو الآن يقيم في صومعة في منطقة الهمالايا. و طرق الأدب السنسكريتي باب التقدم الذي أحرزه بعض جهات البلاد بفضل حكمها البارزين فوضعت القصائد و القصص في اللغة السنسكريتية عن العقيد «كريشا راجا» مهاراجا «ميسور» الذي نالت الولاية في عصره نهضة شاملة في شتى الميادين، و كذلك عن مهاراجا «راما ورماء» في إمارة «كوتشين» لـ «كننجان واريار» المطبوع في عام ١٩٣٠م و أما آخر مهاراجات كوتشين، فقد وضع عدة مؤلفات بنفسه في اللغة السنسكريتية.

النقد الأدبي

من ميزات اللغة السنسكريتية أنها كانت تصرف اهتماما خاصا - منذ القدم - في دراسة تاريخ الآداب السنسكريتية حتى في المكاتب التعليمية القديمة. و من هذه الناحية بلغ الثر السنسكريتي درجة ممتازة في ميدان فقه اللغة و تاريخ الآداب السنسكريتية. و لـ «راجا راجا ورماء» مؤلف قيم

عن اللغات الهندية - الأوربية . ويمكن أن يعد العصر الذي قضاها الأدب السنسكريتي فيما بين عام ١٩٢٥ - ١٩٥١ م عصر الحركات الجديدة في الميادين الاجتماعية والدينية والفلسفية . ومنذ أن بدأ الهنود يلتقطون طرق الحياة الأوربية ، وعمت الرحلات الخارجية وأخذت الإصلاحات الاجتماعية والدينية طريقها في المجتمع الهندي ، قام الهندوسيون الأرثوذكسيون لحفظ التقاليد والطقوس الهندية القديمة فلم يألو «المانديت» - رجل الدين الهندوسي - جهدا في الكتابة ضد الرحلات في الخارج ، والزواج الحر ، وزواج الأرملة ، وغيرها من التقاليد التي كان يتمسك بها الهنادك القدامى . و أتت حركة «آريا سماج» التي دعت إلى العودة إلى صفوة مبادئ الديانة «الويدية» الهندوكية . وساعدت هذه الحركة على نشر التعاليم السنسكريتية ووضع عدة كتب مدرسية في هذه اللغة . وصدرت عدة مجلات دينية أدبية تدعو إلى التمسك بالتقاليد الهندية القديمة ونشر مؤلفات الأدباء السنسكريتيين وتعارض السير قدما بتيار الإصلاحات الدينية والاجتماعية الذي كاد أن يكتسح البلاد بسرعة فائقة . وهذا لا يؤدي إلى إنكار الدور الذي لعبه بعض الأدباء السنسكريتيين المتورين في ميدان تحقيق أهداف هذه الإصلاحات الجارية في أنحاء العالم .

❦ التراث السنسكريتي ❦

لكل لغة أو أدب تراث خاص يمتاز به عن الآخر . ومن ميزات اللغة السنسكريتية روح التسامح . وبينما جاهدت السنسكريتية في عصورها المديدة لأجل الدفاع عن أفكارها ومبادئها فلم تنس حقيقة أن الوسائل المتنوعة تؤدي إلى الهدف الواحد ، وأرسلت آثار هذه الروح العظيمة نورا على

الفكر الهندي الحديث . وربما يبدو هذا الرأي غريبا بالنظر إلى ماتقدم من مقاومة الأدباء السنسكريتين - وإن لم يكن كلهم - الاصلاحات وتمسكهم بالتقاليد القديمة ، ولكن روحهم المتساحة قد وسعت صدورهم لقبول آراء أربع مدارس مختلفة لـ «ويدانتا» الهندوكية ، ودعوا أيضا إلى محو الفوارق الطبقية والطائفية وإلى التفاهم المتبادل وألم يكن أى أثر لهذه الروح الهندية القديمة على فلسفة «التعايش السلس» المعروف في يومنا هذا ؟

و أن ارتفاع معدل دراسات الفلسفة الأوربية في الكليات المحلية ، ومنها المنطق ، وعلم النفس ، والنظريات وفق الآراء التي أبداهها الكتاب الغرب ، قد أثار اهتمام البعض لنشر هذه الفلسفة في أوساط قراء السنسكريتية أيضا . وقام عدد من الكتاب النابغين في اللغات الهندية والأوربية بمهمة ترجمة عدد لا بأس به من المؤلفات الغربية إلى اللغات الهندية وفي مقدمتها السنسكريتية . ونشرت مجلة «بانديت» الصادرة من بنارس ، الترجمة السنسكريتية «لمبادئ العلوم الانسانية» «بركلي»^١ ورسائل «لوكة»^٢ عن «الفهم الانساني» . وكتب الدكتور «سياما ساستري»^٣ في عام ١٩٢٩ م كتابا بعنوان : «باشچايتا پرامانا تتواومنسا تتواه عن المنطق والفلسفة في الغرب . وأحدث الكتب السنسكريتية في هذا المضمار ما لـ «وسواسورا سدهانتا سرومى» باسم : «نيثي شاستراء عن الاخلاق في الفلسفة الغربية .

العلوم الحديثة

ومنذ انبثق فجر العصر العلمي الحديث وبدأ الجيل الجديد يتوق للرى من مناهله العذبة ، جرى تيار في أذهان الكتاب السنسكريتين عن ضرورة إدخال العلوم الحديثة و منافعها ونجاحها في ميدان اكتشاف

المواهب الكامنة في الهيكل الانساني لصالح البشرية و نفعها العام ، إلى قلوب الذين لم ينالوا قدرا وافيا من الدراسة الانجليزية . ولعبت المجلات السنسكريتية مثل ، «سنسكرتا چندركا» لآپا شاستري و «ساه» دورا نافعا في تحقيق هذا الهدف النبيل . وكتب «إلتور راماسوامي شاستري» و «يوجاديانا مسراء» رسالتين عن الهندسة بينما كانت مجلة «ساه» تنشر مقالات متتالية عن شتى فروع العلوم الحديثة مثل الرياضيات ، و الكيمياء ، و الفلكيات و الحساب ، و علم الانسان ، و الاختراعات العديدة المصرية . و وضع «ونكتا رامانيا» من ميسور مؤلفا قيما عن الكتاب الهنود القدامى في العلوم و الفلسفة و تقف ميسور في مقدمة المناطق التي تبرعت بمؤلفات ذات قيمة كبرى في بحث علمي دقيق عن الاكتشافات و الاختراعات المصرية ، في اللغة السنسكريتية ، و بينما نرى أشخاصا كتبوا كثيرا عن التقدم العلمي الغربي نجد أناسا يقصون الفشل الذي منى به العلم الحديث في ميدان البلوغ إلى غاياته المطلوبة و اكتشاف أسرار الحياة الانسانية .

و من المؤلفات السنسكريتية الموضوعية في العلوم الحديثة «پراتياك

شريرا» في «علم التشريح» لمؤلفه «كاوي راج جننات سن» (١٩١٩ م) و «سدھانتا ندانا» في «علم الامراض» لنفس المؤلف (١٩٢٢ م) و «رسا جالا ندهي» في «الكيمياء الهندية» . و كتب أطباء «آيورويدا» في مالابار ، مؤلفات هامة في ذلك الموضوع بطريقة حديثة علمية فوضع ، وى . أن . «ناير» «أنوجراها ميامسا» في «نظرية الجراثيم» (١٩٣٨ م) و يتناول أطباء آخرون مثل ، ك . أس . مهاسكر ، و أن . أس . واتوا ، في : «سواستيا وريتاه»

Siddhanta (3) Pratyak Sharira (2) Venkata Ramanayya (1)

Anugraha Mimamsa (٤) Rasa Jala Nidhi (4) Nidana

المواضيع التي تتعلق بالصحة وطول العمر، وقام كاشيكار من بونا
ببحث طويل عن منشأ آيورويدا وتطوراته و تقلباته خلال العصور
الطويلة التي مرت عليه، وطبع كتابه القيم في هذا الموضوع: آيورويدا
ينارتها و جناانا، في عام ١٩٥٣ م.

رگويدا سمها

تقدمنا في مفتاح المقال أن «رگويدا» لأقدم الكتب الجامعة في
اللغة السنسكريتية وكما أنه أوثق المؤلفات عن السلالة الآرية وعن
ثقافتها و حضاراتها و لغاتها و عقائدها. و أن الآريين - سواء في الهند
أو غيرها - كانوا حاملي الأدب السنسكريتي و تأثرت هذه اللغة بمعتقداتهم
و آثار حضارتهم بحيث تتجلى خلال الآداب السنسكريتية المتنوعة. ولذا
اشتهرت مدنيتهم بالتمدن الرگويدى، بل و أن هذا التمدن بعينه التمدن
الهندوسى.

أن لغة «رگويدا» تفوح منها رائحة لغة مشتركة كان ينطق بها
أسلاف شعوب عديدة في موطن مشترك و في زمن معاصر، فثلا فان
الالفاظ التي تدل على القرابة أو التجربة الاساسية في الحياة لني تقارب
وثيق في النطق والمعاني في اللغات السنسكريتية و اللاتينية و الالمانية
و الانجليزية و الفارسية فان كلمة الأم، في السنسكريتية «ماتر»^١ و في اللاتينية
«متر»^٢ و في الانجليزية «مدر»^٣ و في الفارسية «مادر»^٤. و اللابن في السنسكريتية
«سون»^٥ و في اللاتينية «سونو»^٦ و في الالمانية «سن»^٧ و في الانجليزية «سن»^٨
و هذا التشابه القريب اللغوى يدل على أساس مشترك في التاريخ القديم
عن العهد البدائي للبشرية بصفة عامة و لهذه السلالة بصفة خاصة.

Mātar (1) Matar (2) Mother (3) Mater (4) Sūnu (5)

Son (8) Sunu (7) Sūnū (6)

و ما هو الموطن الأصلي للآريين هذا هو سؤال يتطلب بحثا دقيقا بطريقة علمية عميقة. وأن الكتاب الهندوسي القديم «رگويدا» وأقدم الكتب الايرانية «أوستا» يبديان تطابقا في اللغة و الافكار أكثر مما هو في أى كتاب آخر. وهذه المشابهة القريبة بين رگويدا و أوستا تدل على كون أجداد الهنود القدامى و الايرانيين منحدرين من أصل واحد أو - على الأقل - من موطن مشترك أو عاشوا مدة طويلة معا قبل الافتراق إلى أماكن متباعدة. وعلينا الآن التحقيق عن العهد الذى وضع فيه هذا الكتاب القيم.

إن الاكتشافات التاريخية التى حصلت فى منطقة «بوجاز كوتى»^١ فى الشرق الادنى و التى يرجع تاريخها إلى عهد تسبق عام ١٤٠٠ قبل الميلاد، تدل على وجود علاقات عائلية بين ملك «الحثيين» و ملك «ميتانى» وكذلك جرت معاهدات و موائيق بين العائلتين و أتى فيها ذكر الالهة كالشهداء على تلك الموائيق المعقودة بين الطرفين. و هذه الاسماء الواردة فيها الآلهة تبدى مطابقة تامة مع أسماء الآلهة المذكورة فى «رگويدا» مثلا : مثل «اندرا» و «ورونا» و «مترا» وغيرهم. و بناء على كون هؤلاء الآلهة معروفين لدى «أوستا» أيضا ظن بعض الباحثين أنها الآلهة المشتركة بين الهنود و الايرانيين من أصل آرى موحد. ولكن هجاء هذه الاسماء فى الكتابة المتعلقة بمناطق ماوراء النهرين يدل على اتيانه إلى أصل «رگويدى». و نستطيع أن نفترض من هذا الاكتشاف التاريخى أن الثقافة الرگويدية قد وطدت أركانها فى الهند قبل ١٤٠٠ عاما قبل الميلاد بزمن طويل لىكى تتمكن إرسال نفوذها إلى بلدان نائية فى الشرق الادنى. و جاء ذكر أسماء ملوك «ميتانى» بأسماء

سنسكرتية، في الخطوط الاثرية التي عثر عليها في حفريات «تل العمرنا» والتي يرجع عهدا إلى تاريخ أثريات «بوجاز كوئي، المذكورة، ومنها أسماء «آرتا تاما، و«ستارنا، و«تسرتا»، وقد ورد فيها أيضا ذكر أسماء بعض ملوك «كاسي» الذين كانوا يحكمون «بابل» فيما بين فترتي ١٧٤٦-١١٨٠ قبل الميلاد، وكأها أسماء سنسكرتية مثل «شورباس» (سوريه) و«ماريتاس» (ماروتاس) المذكور في «ويدا، الهندي، وغيرهما. وعثرت على مكتبة أثرية في «أسور بنيبال، يعود عصرها إلى عام ٧٠٠ قبل الميلاد، وفيها قائمة للآلهة المعبودة في «أشوريا». ومنها اسم الآله «أسارا-ماراسي» مشابه للآله الأوستائي العظيم «أهورا-مزدا». وأن كلمة «أسارا» أقرب إلى كلمة «أسورا» السنسكرتية من كلمة «أهورا» الأوستائية.

و إذا أثبت التاريخ ترعرع البوذية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد فلا بد أن تكون الحضارة البرهمية و الثقافة الآرية قد وطدت أقدامها فيها قبل البوذية لأن الكتب البوذية القديمة الهندية تذكر عنهما. وكما أن النمو الأدبي البرهمي يحتاج إلى زمن كاف بعد عهد «الركويدى» لأن الأدب البرهمي المتشكل من أربعة أقسام: سوترا و أرنياكا، و أبانيشد، و برهنا قدرتب بعد «ركويدا سمهتا». و على هذا يمكن أن يقال بأن عهد «ركويدا» ربما يعود إلى ألف و خمسمائة سنة قبل الميلاد - على أقل تقدير - تخميننا لا تحديدا.

الهند في ركويدا،

يبدو من هنا الكتاب العتيق أن الآريين كانوا يملكون مساحات من الأراضى و ترعرعت فيها ثقافتهم و حضارتهم. وكما أنه يلقي ضوءا على

الحدود الجغرافية الهندية الركوندية ، إذ ذكر في غربها أنهر « كوبها ، (كابل) وجومتى و سواستو (سوات) ثم أسماء الأنهر الخمسة في « بنجاب ، وهي : سندهو (لاندس) و تاستا (جهلم) و أسيكنى (جنب) و يروشنى (أتراوتى) أو « راوى » و « وياس ، (ياس) و كذلك ذكر أسماء « سوتودرى ، (ستلج) و « سرسوتى ، « و « يمنا ، و « جنجا ، .

و تعيد أنا شيد الصباح فى ركوندا إلى الأذهان جمال الصباح فى مناطق بنجاب من الرعد و البرق ، وهبوط الامطار من السحب الكشيفة . و أن ذكر أنهر كوبها يدل على سيطرة الهند على أفغانستان فى تلك العهود . ثم ذكر منطقة لكل طائفة و يديّة و فى مقدمتها كندهارى ، و مجاونت ، و أنو ، وغيرها . و فى ميدان التطورات السياسية فى الهند فى عصر ركوندا ، يقول عن حروب الملوك العشرة ضد « شوداس ، ملك قوم بهارتا . وكانت الحروب قد انتشبت بسبب التنافس لأجل السيادة بين الأقاليم المختلفة القديمة و يبدو بأن تلك الحروب قد عمّت الهند الركوندية كلها . و أن الأقاليم الرئيسية التى كانت تقطن المناطق الغربية لاندس ، « پختون ، الافغانية و « سيوا ، و « وشن ، و « ألينين ، و فى داخل الأراضى الهندية أنو ، و پورو ، و درويو ، و تورواسا وغيرها ، و فى شرقى « يمنا ، « أجا ، و « بيكتشو ، و « سيكرو ، من غير الآريين . و بفضل التطورات السياسية و الاختلافات الداخلية و التنافس فى السيادة كادت الهند كلها تتوحد تحت إمرة حاكم رئيس و تسود السلطة الآرية على السكان الاصليين كلهم . و أن ركوندا قد أعطى أسبابا ثقافية و سياسية لاشتداد التصادم الفكرى و السياسى بين الآريين وغيرهم .

جاء ذكر الشعوب غير الآرية في «رگويدا» بأسماء عديدة مثل «داسا» و«داسيو» و«أسورا» وغيرها و أما القواد غير الآريين فقد أتى ذكرهم كآلآتى: «سيميو» و«ياكتشو» و«سيكرو» و«أجا» الخ. و ذكر «رجويدا» عن نوعين من الاناس المرذولين وهما «پيساج» و«راكش» وكانوا يقومون بصرخات مخيفة فى تلك الحروب. و وصف الكتاب الجنسين الآرى وغير الآرى بعلامات تميز بين القومين، ومنها قوله عن غير الآرى بأنه أدكن اللون و أزلف الأنف، و يتكلم بلغة تختلف تماما عن السنسكريتية الويدية، و محروم عن الطقوس الدينية، الويدية، و لا يعبد الآلهة الواردة فى ويدا وغيرها من الصفات التى يتعد عنها الآريون. و تنطبق هذه الصفات - إلى حد كبير - على الجنس الدراودى فى الهند القديمة. و مع حصول الامتزاج بين الجنسين بمرور الايام بطريق الزواج و المصاهرة القبلية فقام الآريون بطرد السكان الاصليين غير الآريين إلى المناطق الجبلية النائية أو أسرم فلاغرو فى ذكر الرگويدا بكثرة اسم «داسى» أى الأمة. و لاقى الآريون مقاومة جبارة فى الهند فى سبيل تحقيق أهدافهم ذات الوجوه الثلاثة أولا: التغلب على العنصر الاصلى، و ثانيا: السيطرة عليه سياسيا و ثقافيا، و ثالثا: تهذيبهم و إيجاد السجام ما بينهم و بين السكان الاصليين. و يذكر رگويدا عن القلاع الحصينة و الحضارات المادية المتقدمة لهؤلاء السكان المحليين الاصليين. و عثرت على مخلفات تلك الحضارات فى خرائب المدن الاثرية المكتشفة فى كل من «هاربا» و «موهنجو دارو» و تحتوى على النقود التاريخية و أشياء مصنوعة من الصدف الحاصل من التجارة البحرية. و لأجل هذا احتاج الآريون إلى مقاومة جبارة فى وجه حضارة قديمة

متينة مشيدة أركانها منذ عصور بالغة في القدم ومركزها في وادي «اندس» ، ولذا سمي إلههم الرئيس «اندرا» ، أى «فاتح المدن» - على حد تعبير كتبهم الدينية - و يصف الركويدا الأرض بقبر العبيد و إله «اندرا» بناهب مدن العبيد السود والقاضى على جيوشهم . ويذكر أيضا بأن خمسين ألف عبد أسود قد ذبحوا في ميدان الحروب ، وقتل فيها ثلاثون ألف عبد آخر ، وكذلك حاصر «راجيسوان» مائة مدينة حصينة للملك «واندكريدا» ، غير الآرى في الحروب التى جرت ضد السسل الأسود .

إن الدعاء الوارد فى الركويدا والموجه إلى «إندرا» يُلخص كمايلي :
« إن قبائل داسيو - عبيد - أحاطت بنا من جميع الجهات فهم لا يعتقدون فى شئ ، ولا يقدمون القرابين ، وطقوسهم مختلفة وهم ليسوا أناسا شرفاء ، فإنا مهلك الأعداء أهلكتهم ودمر ديار جنس العبيد ، واقض على قوم «داسا» ، و يبدو من فحوى هذه الكلمات الفكر الآرى ونظرة الجنس الآرى نحو الآخرين ومدى التصادم الفكرى الذى حصل فى الهند وقت وصول الآريين الفاسحين إليها . »

الحياة الاقتصادية

عقد ركويدا أهمية كبرى على الزراعة ورعى المواشى والصيد . وكانت اقتصادية الطائفة الآرية الأولى تدور - أولا وقبل كل شئ - حول الحيوانات ورعيها . وكانوا يستخدمون البقر والثور فى الحراثة وجر العربات ، والخيول فى المسابقات وجر العجلات والكلاب فى الصيد والحراسة ، وجرت عدة حروب فى سبيل نهبها وامتلاكها وكانت تصنع آذان الحيوانات بعلامات تميز أصحابها . وكان السماد منتشرا حبيداك

في الحقول . و لخص رگوید مهنة الفلاحة كلها في كلمتين : « ستپتا برهمناء »
أى الحرثة و الزراعة و الحصاد و الدراسة . و أتى فيه ذكر الآبار
للانسان و المواشى على انفراد ، و الحشرات المضرّة للزرع و الطيور
و الجراد ، و كثرة الأمطار و مضاهاها للحقول الزراعية . و كانت التجارة
معروفة في عهد « الرگویدا » ، و المبادلات التجارية شائعة و كذلك الاتفاقيات
التجارية و الاقتصادية و الثقافية فجاء فيه ذكر عرض تمثال لاندرا بقيمة
عشرة أبقار سمية و ذكر التجارة البحرية بصمة خاصة و فيه إشارة إلى
الخزائن البحرية المكنونة في بحر « أقيانوس » ، الذى سماه « سمدراس » .
و اعترف بحق الملكية الفردية في الممتلكات الثابتة و المتنقلة . و إنما
الابن يرث أباه و لا ترث الابنة إلا إذا كانت وحيدة لآيها . و اعترف
رگویدا بحق الرجل لتبنيته احد ابنا له مع مطلق الحرية . و اتخذ الهندوسيون
المعاصرون لرگویدا الصيد مهنة لكسب القوت ، و اللهو ، و لوقاية البلد
و المواشى الأهلية من الحيوانات المفترسة .

العادات الاجتماعية

جاء فيه ذكر عدة أصناف من الملابس التحتانية و الفوقانية من
نسيج الجلود او الصوف ، مطرزة من الذهب و الجلود و غيرها . و استعمل
كل من الرجال و النساء أنواعا من الحلى مثل القروط و القلائد و الاساور
و الخلاخل ، و الاكاليل المرصعة بالاحجار الكريمة . و كان من عاداتهم
تمشيط الشعر و تدهينه و تضيف شعر النساء . و من أهم طعامهم اليومى اللبن
و منتجاته و المطبوخ و من الحبوب العديدة من الرز و الشعير مزوجا بالسمن .
فكانوا يستعملون لحوم العنم و الماعز و اعتبروا البقرة محرمة أى « اگنيا » ،
و منعوا المسكرات لأنها كانت تحدث الخصومات بين أفراد المجتمع و جماعاته .

وحت «رگويدا» على نوع خاص من المشروب المصنوع من عصير نبات خاص يعرف باسم «سوما» و يقدم هذا المشروب في المناسبات الدينية. ومن وسائل التسلية فيما بينهم سباق الخيل ولعب النرد و الرقص و الموسيقى و تصحب الرقص «الصنوج» و من الآلات الموسيقية الشهيرة عندهم العود و القيثارة و المزمار و وسائلها القرع و الوتر، و النفخ و غيرها .

النظام الحكومى فى عهده

كان النظام الحكومى فى غاية الدقة و الترتيب الفطرى لأن التشكيلات السياسية الادارية تتدرج مراحل عديدة ، و منها : (١) كرها (الأسرة) (٢) «كرام» (القرية) (٣) «ديش» (المقاطعة) (٤) «جنا» (الشعب) (٥) «راشتر» (الدولة) . و أما الأسرة فوحدة تتألف من بضعة نفر يعيشون تحت رئيس عائلى ، إما هو الاب أو الأخ الأكبر و يعيشون فى مكان فسيح تحيطه مزارع الأسرة و مرعى مواشيتها . و القرية عبارة عن مجموع عائلات تقطن فى منطقة معينة مع ما فيها من المزارع و البيوت و المواشى و يكون على رأسها كبير يشرف على شؤونها . و كانت تشكل المقاطعة من عدة قرى مجاورة مع حدود معينة تفصلها عن شقيقاتها ، من الأنهر أو الجبال أو الخطوط الوهمية معلية بعلامات ظاهرة . و ذكر رگويدا سلسلة من الأسر و المقاطعات و الشعوب و منها خمسة شعوب معروفة و يسمى محافظ شعب بأجمه الملك ، و الدولة التى يحكمها ملك فى بلاد معينة ذات حدود و دفاع تدعى راشتر . و يقال بأن الملكية من طبيعة العصور الوريدية لأن الآريين كانوا يفتحون بلادا تلو آخر حتى

أن الشعب كان يضطر لانتخاب ملك لهم لمواجهة العدو تحت قيادة منظمة وإمرة واحدة ولداحت العادة أن يقود الملك بنفسه جيش الدفاع في وجه الأعداء معرضاً نفسه للخطر. وكان يتلقى - إذا صح هذا التعبير - تلقاء خدماته هذه طاعة الرعية والخراج لتعويض منصبه والهدايا والتحف من القبائل وأعيان البلد مكافأة على إشرافه على كرامة الدولة. وعادة كان الملوك وقتذاك يقضون عيشة ترف وبذخ ويسكنون قصوراً فخمة مع خدم عديدين وورد في ركويد ذكر قصرذى ألف باب وألف عمود ضخمة وكان في مقدمة حاشيته «پروهيتا». وهو بمثابة مصاحب الملك ومرشده ووزير الحكيم ويعتبر أيضاً كاهناً عائلياً للبلاط الملكي في الشؤون الدينية. ويكون على رأس الجيش قائد عام يدعى «سينانى»، وقائد القرية يسمى «گرامانى»، وهو يوب عن الملك في تتبع شؤون القرية. وظهرت في تلك العصور هيئات شعبية باسم: «سبها، أو «سميتى»، للقيام بمهمة البحث في مصالح الأمة والوطن وأحياناً تقوم هذه الهيئات بانتخاب الملك وتحديد مهام منصبه. وورد ذكر هذه «السبها» في عدة مواضع في ركويدا. ويقال لرئيس هذه الهيئة «سبها ساها»، والذي له حق العضوية فيها «سبها»، وهي بمثابة مجلس التشريع - في يومنا الحاضر - ويذكر «رگويدا» بأنه اجتمع بأعضاء «سميتى»، وجذب إلى نفسه أذهانهم، وعبارات أخرى مماثلة تدل على ضرورة الوفاق بين الملك وبين أعضاء «سميتى»، لإقرار الأمن والنظام في البلاد.

ويسمى «رگويدا» الحرب باسم: «يدها، أو «رنا»، والجيش «پريت، أو «پريتانا». وكأنت الحروب تنشب في العهد «الركويدى»

لأجل الدفاع و الفتح و الاستيلاء على البلاد المجاورة و سلب الغنائم . و من الأسلحة الحربية الشهيرة إذ ذاك القوس ، و السهم ، و دورما ، و أتكاء ، و السيف ، و الرمح ، و القذيفة و الخنجر ، و غيرها ، و تصحبها الطبول و الدفوف و الإعلام .

❦ العلم و العلماء في العصر الرگويدى ❦

قامت المدنية الرگويدية على مبدأ و فكرة عالية و حياة عادية . و ما كانت تهتم ببناء العمارات الفخمة و القلاع الشاحنة مثلما كانت عادة المصريين القدماء أو الاشوريين الاشداء . و لكن أفكارها الروحية و ثقافتها الراقية كانت قد بلغت القمة و أن أنواعا من الادعية الواردة في رگويدا تتم عن فكرة عظيمة و معرفة جلية لاسرار الكون و حقائق الطبيعة بحيث لم يصل إليها إدراك العالم المادى الوضاح و هكذا تعتبر المدنية الرگويدية مدنية روحية عليية و ثقافية بصرف النظر عن الاعتبارات المادية البالية .

و لاحتوى فصول و أبواب هذا الكتاب القيم على الادعية أو الاناشيد الدينية أو الحكم الفكرية فقط ، بل على أفكار فلسفية عالية و قصص ذات عظات و عبر عظمية . و أن رگويداء مجموعة الاناشيد و القصص الشعرية و الحكم الفلسفية و أشار بنفسه إلى العلماء و الفلاسفة الذين تبرعوا بتناجج فكرهم الغالى في جمع هذه المجموعة الثمينة . فكل عالم مفكر ينشد أشعارا تضم الافكار العالية استلهمها خلال تأملاته العميقة المصحونة بانكار الذات و التفانى في سبيل الحق المبين ، و يرث منه أولاده هذه المجموعة الفكرية و كذلك أفراد أسرته و تلاميذه ، و هكذا أصبحت عائلة

من عائلات هؤلاء العلماء بمثابة مدرسة ويديّة تتناقل مجموعة من هذه الأناشيد الويدية جيلا بعد جيل فصارت ذخيرة فلسفية قيمة لا تمحوها الأيام ولا تصل إليها كوارث الأزمان. ولذا سميت مجموعة «رگويداء» باسم: «رگويدا سمهتا» أي مجموعة ويديّة.

❦ أدوار النمو العلمي ❦

و بمقتضى مبادئ «رگويداء» أن النمو العلمي يتطلب أربعة أدوار من النماء التدريجي: (١) الابتداء (٢) الانتشار (٣) الانتخاب (٤) التطبيق العلمي. وهكذا كانت المراحل التدريجية التي تدرجت عليها أدوار «رگويداء» لأنه بعد المرحلة الابتدائية لمختلف أصناف الأناشيد ترعرعت بين الأسر العلية والعائلات الفلسفية زمنا ثم حصل جمع هذه الأناشيد كلها أو جلها في ديوان واحد منظم باسم: «سمهتا» وأخيرا تفرع منها ثلاث من الويدات - وهي: «ساما» و«يجر» و«أثر» - ونمت وتصلت جذورها ونظمت قواعدها ومبادئها وكتبها. وهذا التحقيق العلمي يدل على أن أطوار «رگويداء» من مراحل الابتدائية إلى دور تكمله بعد أن توطدت أركان الويدات الأربعة، كانت تتطلب قرونا عديدة وأن تاريخه لمن أقدم التواريخ المتعلقة بالجنس البشري كما أكد به كثير من العلماء البارزين - قديما وحديثا -

يحتوى «رگويداء» على ثمانين ألف بيت مع أن خمسة آلاف منها مكررة. وأن الحفاظ كانوا يحفظونها في ظهر قلب مع الاتقان والاعادة حيناً وآخر و بعد انتشار نظام الكتابة كتب متن «رگويداء» في غاية الدقة وكان المولعون به - منذ أقدم العصور - يحافظون على الدقائق اللفظية واللغوية

و طبقا لقوانين الكتابة الرائجة في اللغة السنسكريتية . و عند اكتمال كتابة «سهمتا» و تدوينه اتخذت الخطوات اللازمة لحفظه عن التحريف و التزييف بمرور الزمن و تطورات الدهر . وكانت طريقة التعليم في ذلك العهد اجتماع عدد من التلاميذ في بيت المعلم و يكون في مقدمتهم أولاده و أفراد أسرته و جيرانه و يتلقون منه شفويا ما يلقى عليهم من المتن و الشرح و الايضاح و بعضهم يحفظونه أو يكتبونه على ما قدر من أدوات الكتابة في ذلك العصر . و يحفظ التلاميذ المتون أولا بالتكرار ثم بالاستذكار مما كتبوه أمام المعلم وقت الالقاء . و هذه الطريقة القديمة كانت تعطى أهمية كبرى للنطق و التلفظ في الالقاء و القراءة .

❦ الديانة الرجويدية ❦

إن الديانة الرجويدية لمبنية على عبادة الآلهة التي يرجى منها البركة و الاحسان و تحقيق المرام . و أما طريقة أداء القرابين لها فتقديم اللبن و الحبوب و السمن و اللحوم و كذلك أنواعا من المرطبات الممزوجة من عصير الفواكه و النباتات ، إلى جانب ترتيل الأناشيد الدينية و الأدعية الويدية و ربما تصحبها رقصات و طقوس و رسوم معينة مبينة في «رجويدا» و يشمل الكتاب على المعاني و الحكم العميقة الكامنة وراء هذه العبادات و الطقوس ، و من الطريف جدا أن «رجويداء» يسمح و يبحث على العبادة أو تقديم التضحيات لآلهة كثيرة و يثبت وحدة العالم في الأخير كخلق لله الواحد الذي ينتمى إليه جميع المظاهر المختلفة و إليه مصير الكون كله . و يدعو الروح الاعظم أو العلة الأولى و كما أنه يعترف بحق واحد يتحقق بطرق شتى و يعتقد بالحياة الأخرى الأبدية .

❁ پنج تنترا ❁

إن الكتاب السنسكريتي الشهير «بنجتترا» هو المعروف الشائع في المكتبة العربية باسم: «كائلة و دمنة» وأن الواضع الحقيقي لهذا الكتاب «وشنو شرما»^١ وقبل أن نأتي على تفاصيل المواضيع التي يبحث عنها هذا الكتاب التاريخي الجليل نلتي نظرة خاطفة حول سبب وضعه. عاش في الهند في عهد قديم ملك نع في مختلف العلوم والفنون وكان عاقلا في أعماله وحكيما في سياسته. وأما أبناؤه الثلاثة فكانوا مغفلين أغبياء لا يفهمون شيئا من أمور الحكمة وشؤون السياسة. وأسف الملك على هذه الحالة أسفا شديدا ودعى يوما جميع فلاسفة عصره وأعيان مملكته للاجتماع في قصره ولكي يبحث معهم عن الوسائل التي تساعد على تجميع أولاده في الاقدام على محصيل العلوم ونيل الحكم. ولما تم انعقاد اجتماع الفلاسفة والحكام والاعيان خطب فيهم الملك الخادق فقال: إن أبنائي ينفرون من العلم ويتعدون عن الحكم السياسية ويبدو أنهم محرومون من الفطانة والذكاء. وأن الولد العاصي الغبي مثل البقرة العاقر التي لا تلد ولا تجود باللبن، فأرجو منكم العثور على وسيلة تؤدي إلى إيقاظ ذكاء أبنائي وترغيبهم في الحكم والعلوم. وأجاب البعض أن الاقبال على العلوم النحوية واللغوية لمدة اثني عشرة سنة. تقريبا. ليكون عوننا على تحصيل العلوم الدينية والديوية. فتفتح أمامهم أبواب المعرفة والحكمة السياسية على مصاريعها. ولكن فيلسوفا من الحاضرين وقف قائلا: أيها الملك المعظم أن الحياة لقصيرة فلا ينبغي لنا أن نعملها أقصر. وأن العلوم اللغوية والنحوية وغيرها من آلات المعرفة والعلم تتطلب زمنا طويلا لا تقاؤها والتمكن فيها. وضرب

المثل المشهور لدى العلماء : إن العلوم اللغوية بحر عميق لانهاية له و أن الحياة قصيرة تواجه عدة عوائق في طريق امتدادها ، و اقترح بضرورة اختيار الأهم من العلوم و اتباع أقرب الطرق و أسهل الوسائل لنيل الحقائق و معرفة العلوم الأساسية . و أن في ملكيتكم برهمي فيلسوف يدعى « وشنو شرما » فاذا سلم الملك أبناءه إليه فانه يشهد أذهانهم و يركي نفوسهم .

هذا هو محل الاختلاف بين الباحثين في سبب وضع هذا الكتاب . فيقول البعض بأن « بيدبا » رأس الفلاسفة في عصر الملك الهندي العظيم « دبشليم » هو واضعه . و هكذا بدأ البعض ينسبون الكتاب إليه . و أما الرأي الآخر الذي يقول بتأليفه الفيلسوف « وشنو شرما » فيضيف : أن الملك قبل اقتراح الفيلسوف و أمر لاحتضار البرهمي الفقيه « وشنو شرما » إلى الحضرة الملكية فقال : أيها الناسك الجليل أرجو منك تعليم أبنائي لكي يصبحوا نابغين و حاذقين في العلوم الدينية و الدنيوية و يكونوا أذكيا في الحياة العملية . ثم أمر الملك بفتح خزائن القصر للفيلسوف لكي يتصرف فيها كما يشاء ، و كذلك رفع درجته و عظم شأنه .

و لكن الحكيم الهندي المذكور رد الملك قائلا : أيها الملك ! اني لا أقول إلا الحق الصريح . و لست من الذين يبيعون الحكمة و العلم بالمتاع الدنيوي الفاني . إن اعتزالي هذا من التزهدي في المال ، و أن العلماء يجودون بالعلم و لا يريدون عليه مالا ولا شكورا . و لكني أحاول لتثقيف أبنائك و ينجحون في حياتهم العملية . و يقال بأن كتاب « پنجنترا » أقدم الكتب القصصية في العالم و يرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد . و كان الكتاب يدعى في أول الأمر باسم : « نيتي شاسترا » و أن الكتب

الويديّة الهندوسية لمليّة بالحكايات و القصص مع أن العلوم ما كانت في الماضي مقسمة - كماهي الآن - إلى أنواع و فنون و لكنها تجمع في كتاب واحد سواء أكانت منها الفلسفة أو التاريخ أو العلوم السياسية و القصص و الروايات وغيرها . و الآن أصبحت القصص فنا قائما بذاته .

و عند البعض الآخر أن السبب المذكور لوضع « بنجنترا » لا يوافق الحقيقة الواقعية إلى حد كبير لأن مجرد سرد الحكايات و بيان القصص الاسطورية فكيف يوحد أذهان هؤلاء الامراء السفهاء و يفتح عقولهم إلى حد كونهم نابغين في السياسة و فقهين في العلوم ؟ و يمكن أن يتال بأن واضعه أراد ذكر سبب لوضعه هذه الحكايات و القصص ذات العبر و الحكم العديدة فاخترع قصة الملك و أبنائه لأن الهند كانت تحت نفوذ الملوك حينذاك و أن معظم أباء الملوك قد انغمسوا في الترف و الملذات الدنيوية بحيث ما كانوا يعدون أكفاء لتولى الامور السياسية في البلاد بكياسة و فطاعة فكان وجه الانتساب أوفق و أسهل . و فيما يلي بعض المصادر التي اقتبس منها المؤلف قصصه و حكاياته . و أن « بنج تنترا » يذكر عن « رامايين » و « منوسمترتي » و « منو » و « شانكيا » و كذلك ورد فيه ذكر الكهان البوذيين ، وفيه أيضا قصص ورد ذكرها في « مهابهارت » . و كل هذا يدل على أن « وشنو شرما » صاحب الكتاب قد ولد الامبراطور الهندي العظيم « چندرا كپتا » و كما أنه يثبت ولادته في القرن الأخير قبل الميلاد في أيام ملوك الاسرة « الكنشكية » حينما كانت البوذية دين الدولة فقبل بأن الملك « كنشك » كان يحكم من « كاشي » إلى « بندهياشل » جنوبا و إلى « كاشغر » و « يارقند » شمالا و إلى حدود الفارس غربا و يعني هذا أن

ملكته كانت تشمل بنجاب و ولاية أترپرديش ، و كشمير وغيرها من نواحي الهند الشمالية و جزءا كبيرا من آسيا الوسطى . و كانت عاصمته « تكشيللا ، الواقعة بقرب « پشاور ، الحاضرة .

﴿ فلسفة پنج تنترا ﴾

يقرر كتاب « پنج تنترا » أولا أن العلم أحسن شئ في الدنيا و أمنه و أشرفه و لا يمكن سارق أن يسرقه و لانهب أن ينهبه و لا ينفد بكثرة الانفاق بل يزداد و لا يضعف بالاستعمال بل يتقوى وهو يرفع قدر الوضيع ، و أنه مثل النهر الذي يجري دائما بدون انقطاع . و تلخص فلسفته : إن العلم يؤدي إلى الحلم ، و الحلم يؤدي إلى التعقل و التوازن و هما يؤديان إلى الثروة و النجاح في الحياة العملية ، و هذه هي الوسائل المؤدية إلى سعادتي الدارين .

وهو يقرر الحقائق بألسنة الحيوانات و الطيور . و يقسم العلم إلى قسمين (١) « شسترا وديا » وهو الفنون الحربية . (٢) « شاسترا وديا » وهو الفنون الأدبية . و يقول الكتاب عن القسمين إن الاول يجعل صاحبه عرضة للسخرية عند ما يعجز عن حمل السلاح لكبره أو عجزه . و أما الثاني فيجعل صاحبه معززا و مكروما طول عمره وهو بمثابة العين النفاذة التي تبصر الحقائق الكامنة و تزيل الشكوك المتراكمة في غشاوة العين المادية الظاهرية . و يقول الكتاب أيضا فان المرأ لا بد أن يسبح في الارض و يرى العالم بعينه و يحرب الامور بنفسه حتى يبلغ رشده و يكتمل عليه .

(1) Sastra Vidhya إن أستر: في السنسكريتية، السلاح و «وديا» :

و أن پنج تنترا يعطى أهمية خاصة لشؤون التجارة و المال .
ولا يوافق صاحب هذا الكتاب القديم الهندي مع القائلين بالتقاعد
والتكاسل باسم القضاء و الحظ العذرى و يقول بأن هذا هو فلسفة
الكسالى العاجزين و أن الثروة و العزة يناهما أولو العزائم و أصحاب
الهمم . و التمسك بأذيال القضاء و القدر من شيمة الراضين بالحول و الذلة .
و على الانسان العاقل أن ينسى كلمة الحظ و يسعى بجهده البالغ ، فان خاب
في مسعاه فلاضير عليه بل عليه أن يبحث عن أسباب فشله لكي يتفادها
في المستقبل . و ما الحظ الا عملك في حياتك فعليك أن تترك انكسل
تركا كاملا و تشد إزرك للعمل بجد و نشاط . و أن الكنز الملقى أمام
عينيك لا يصل اليك بنفسه بل عليك أنت السعى لتليه . و لاتقعديك
الخية عن العمل . و أن اليأس هو الاثم الاكبر . و العاقل لا يكون جبانا
و لا خائرا في الملمات و المصائب ، بل يزداد همة و عزما و يتغلب عليها
بالهمة و العطانة .

و لا بد للنجاح أن يصحب العقل مع العمل المتواصل و الذى
لا يتنازل عن عقله في أوقات الشدائد يخرج منها سايما مثل القرد الذى
في اليم . و كذلك المثابرة لازمة للنجاح و الجبان لا يشرع في عمل ما خوفا
للفشل . و أما الرجل الجريئ فهو لا يتوانى عن العمل مهما تراكت أمامه
العراقيل . و يقال في مثل قديم : إن الرجل الذى لا يفقد توازنه العقلى
في السراء و الضراء لن يصيبه سوء . و أن الانسان العامل المجد هو الذى
يستحق الحياة و يصبح موضع الاحترام لدى الناس . و لا ينبغي للانسان
أن يعيش طويلا مثل الغراب الذى يعمر طويلا على الجيفة . و أن

المتصف بالعلم والشجاعة والنبالة والعزة لهوالحي الحقيقي وأن حياة الطيور التي تملأ بطونها بمنافيرها لا تستحق أن تذكر بأنها حياة جديرة بالاعتبار .
و يعطينا بنج تنترا صورة كاملة عن مجتمع ذلك العصر وقد فصل بتوسع الشؤون السياسية للبلاد والحيل الحربية وأساليب الدفاع . و يلوم الملك الفاسد فيقول : إن الملك الذي لا يدافع عن رعيته و يعجز عن نشر السعادة والرخاء فيهم كمثل ندى التيس في عنقه بحيث لا يسمن ولا يفتى من جوع . والشعب لا يحب الملك الفاسد الذي لا ينتفع منه رعاياه و يفر منه من حوله مثل أن تنفض الطيور من الشجرة الناشفة .
وقد ترك كتاب «بنج تنترا» أثرا واسعا في أوساط الشعب الهندي وأصبح كثير من أقواله و حكمه مضرب الامثال في اللغات الهندية كلها . و تتناقله الالسن بكثرة .

القصص القصيرة في السنسكريتية

إن فن القصص القصيرة ليس بجديد في الادب السنسكريتي و أن كتاب «بنج تنترا» بنفسه مثال حي لانتشار هذا الفن في الآداب الهندية القديمة ولكن للشكل الحديث الذي يمتاز به اليوم قد صارت السنسكريتية مدينة للآداب الغربية و منذ انبثق فجر العصر الحديث بدأت القصص القصيرة بأساليبها الحديثة و مواضيعها المعاصرة تأخذ مكانة مرموقة في الادب السنسكريتي . وفي مسابقات القصص القصيرة المعقودة في «ناكپور» و «مدراس» وغيرهما ساهم الكتاب السنسكريتيون مساهمة فعالة بحيث تتفق و التطور الحديث .

وكانت الحكايات و القصص الشعبية تلعب دورا هاما في العهد الماضية في الهند ، في سبيل تشجيع الهمم و إثارة المواهب الكامنة في الانسان

وكذلك كان يستخدمها المعلمون لتثقيف التلاميذ وتمكين المبادئ النبيلة والافكار الثمينة في أذهانهم ولم تتخذ صورة فن خاص قائم بذاته . ونرى الكتب الهندية والملاحم القديمة مليئة بأنواع من الحكايات والقصص تتخللها الامثال والشؤون السياسية والعلمية والدينية وغيرها .
وأما الروايات فتطور حديث في الادب السنسكريتي وتجلى فيها مظاهر الاثر العربي . ونرى في السنسكريتية ثلاثة أنواع من الروايات الشائعة الموضوع على أساس هندي خالص ، والمقتبسة من الافكار الغربية والمترجمة من الروايات الاوربية أو من اللغات الهندية الاخرى . ونشر الروائي السنسكريتي الشهير «أباشاستري» رواية «لوانياماي» له «بنكيم چندرا»^١ أولا في صحيفته «سمسكرتا چندركا» ثم في شكل كتاب خاص . وترجم الكاتب «هرى چران»^٢ الرواية القيمة «كپلاكندالا» لنفس الكاتب البنغالي ، وأما الاديب «أپندرانات سن» فوضع ثلاثة من الروايات الشهيرة «پلي تشاوى» و «مكاراندكا» و «كندامالا» وكتب «هريداسا سدهاندا» رواية باسم : «سرالا» .

ونشرت في صفحات المجلات الادبية السنسكريتية عدة قصص طويلة وروايات خيالية ومسرحيات شتى . وأن القصائد القصيرة التي تدور حول موضوع خاص أو نظرية مفردة ما كانت تعرف الا نادرا في الادب السنسكريتي ولكن نتيجة للتحول الغربي الذي تسربت آثاره إلى الآداب الهندية ، بدأ الشعراء السنسكريتيون أيضا ينتهجون النهج الغربي في هذا المضمار الأدنى . ومن البحور السنسكريتية القديمة الشهيرة «مكتكاس»

و «يكمكاس» و «كلكاس» و «كلاكاس» و «سانا كاس» . و ظهر معظم الأشعار السنسكريتية الحديثة في صفحات المجلات و الشرط الدورية إلا أن بعض الشعراء الجدد قد بذلوا محاولة ضئيلة لنشر مجموعات شعرية حديثة، ومنها المقتبسات من الأدب الانجليزي أو المترجمة منه .

ونشر الكاتب السنسكريتي المعروف «راما چندرا چاريا» بمدراس عام ١٩٢٤ م «لكهوكاويا مالاً» أي ديوان الأشعار القصيرة، وهي عبارة عن مجموعة من التراجم لأشهر التمثيليات و القصائد و الروايات الاجنبية . وأما «كينكيني مالاً»^٣ «لها لنا شاستري» فقد صدرت بمدراس عام ١٩٣٤ م وهي مجموعة أدبية قيمة في اللغة السنسكريتية و تشمل على اقتباسات من شكسبير، و «وردسورت» و «شلي» و «جونسن» . و في مقدمة القطع الأدبية القيمة أيضاً ديوان «بدهيا پشپانجلى» «لسبرامنيا أير» المطبوع في مدراس عام ١٩٥١ م و منه أشعار سنسكريتية أصيلة و مقتبسة من الآداب الانجليزية . و وضعت الكاتبة الهندية المعروفة شريمتى «كريشنا مورتى شاستري» قصيدة طويلة في اللغة السنسكريتية عن الطبيعة و متعلقاتها باسم : «پراكرتى و لاساء» و طبعت في «مدراس» عام ١٩٥٠ م .

الروايات و التمثيليات

أما الروايات و التمثيليات الجديدة - غير الهزلية - فلاتعد و لا تنحصر خلال العصور الطويلة التي مر بها الأدب السنسكريتي، ولكن كلها أو جلها في أسلوب قديم . وقد ألف الكاتب الكبير «بهثا سرى نارينا شاستري» وحده ستة و تسعين تمثيلية و لاتزال تلك التمثيليات متداولة بين الكتاب

Laghukavyamala (2) Rama Chandra Charya (1)

Kinkini Mala (3)

الجدد و القدامى على حد سواء . لأن النظريات و المبادئ الانسانية الخالدة لا تقبل التغير أو الزوال مع مرور الزمن . وكم من أعمال أدبية قديمة تمنح للكاتب الحديث أفكارا جديدة و عوامل حية لتشحيذ همته و إيقاظ قريحته .

﴿ مستقبل السنسكريتية ﴾

يذلل أصحاب الاقلام في اللغة السنسكريتية و المعجبون بها مساعي جميلة في سبيل الاحتفاظ بهذه اللغة و تراثها الأدبي و صونهما من عوامل الانقراض . و لكنهم قد أدركوا تماما بأن البحوث التاريخية أو التحقيقات الفنية وحدها لا تجدى شيئا في منح لغة مهما كان مجدها الماضي حيا أو باهرا ، الحيوية و قدرة التمشي مع مقتضيات العصر . و أن النشاط الحاضر الذي يقوم به في شعب الحياة هو الذي يتدرج بها إلى مدارج الرقي و صفوف اللغات الحية المتداولة . و رأى الكاتب السنسكريتي الهندي بثاقب فكره هذه الحقيقة المرة و بدأ يقوم بنشاط متنوع النواحي لجعل اللغة السنسكريتية سهلة المنال ، و مقبولة لدى عامة الناس و خاصتهم ، و غنية بالأفكار الحديثة ، و مطية للمصطلحات العصرية بدون تعقيد . و لا ينطق بها الآن «البانديت» - العالم الديني الذي يتبحر في اللغة السنسكريتية لغرض تحصيل العلوم الدينية «الويدية» - فقط بل ينطق بها و يكتب فيها عدد كثير من المثقفين بثقافات غربية و المتعلمين في معاهد و جامعات حديثة عصرية .

و اليوم تستخدم السنسكريتية كلفة الامتحانات الجامعية في بعض المواد الدراسية ، و مع أن عددا لا بأس به من الهنود يجولوا اللغة السنسكريتية كلغتهم الأمية - الوطنية - في الاحصاء الماضي في الهند . و هكذا تتطور السنسكريتية إلى مدارج اللغات العصرية مع الاحتفاظ بتراثها الادبي القديم

وميزاتها التاريخية و الدينية لدى الشعب الهندي . و أنها تجد - كما وجدت
في الماضي - أرضا خصبة لترعرع و مجالا فسيحا لتنمو و مهدا طيبا لتطور
و تتقدم في أحضان الهند الحديثة .



متظر رائع من تمثيلية كاليداس شكنتلا

الأدب الهندي المعاصر

— ١٤ —

للاستاذ عمير الدين الألوأي

«أردو»

إن لغة «أردو» إحدى اللغات الأربع عشر التي اعترف بها الدستور الهندي كإحدى اللغات الوطنية الدستورية، للبلاد. ويتحدث بها مئات الآلاف من الشعب الهندي في طول البلاد وعرضها، ومنهم الهندوس والمسلمون والسيخ، والوديون والمسيحيون وغيرهم وإن كان مركزها في المناطق الشمالية والغربية للهند ولها مكانة مرموقة في بعض الجهات في جنوب الهند وشرقها مثل حيدرآباد، وبنغال. وهي لغة نشأت وتطورت وترعرعت في التربة الهندية، وتكونت أجزاءها من عدة لغات هندية محلية ولهجات إقليمية.

ويقال، بوجه عام، بأن لغة أردو مزيج من اللغات الأربعة السنسكريتية والفارسية والعربية والتركية. وهذه الدعوى قائمة على القياس والمظاهر اللغوية. ولكن الوقائع التاريخية و آراء علماء اللسان - من الهنود والأجانب - لا تؤيد هذه الدعوى الشائعة. ولدى هؤلاء المحققين أن لغة أردو، كانت في نشأتها مزيجاً من اللغات الآرية الحديثة واللهجات المحلية القديمة. ومن اللغات التي تركت أثراً فعالاً في بناء لغة «أردو»، السنسكريتية، و «برج بهاشا»، و «راجستانية»، و «كشميرية»، و «بنجابية»،

ولهبجات شتى لأهالي «دلهي»، وضواحيها مثل «هرياني»، و«كهزى بولى»، و«ميواني»، وغيرها^١.

و بعد وصول المغول إلى الهند واستقرار حكمهم فيها تشكلت هذه اللغة بشكل خاص وبدأت الكلمات الفارسية والعربية والتركية تتسرب إليها وكتب بالحروف الفارسية، كما هو الحال في البنجابية والججراتية والسندية. و أن كتابة لغة بحروف خاصة لن تكون دليلا على مصدر تلك اللغة لأن الحروف ليست من الاجزاء الحقيقية للغة مطلقا. ويمكن أن تكتب أية لغة بحروف لغات أخرى^٢. وأما الخط فشيئ مستقل بذاته فما الحروف إلا وسائل لتنسيق الاصوات. والخط عبارة عن مجموعة من النقوش التي تدل على الكلمات ذات المعاني، وأكبر دليل على ذلك «الحروف الرومانية»، المستخدمة في معظم اللغات الأوروبية مع اختلاف بين في معاني الكلمات ومفاهيمها. وقد مرت أيضا عدة تطورات في خط الحروف السنسكريتية فكانت تكتب أولا بالخط «البرهمي»، ثم بالخط «الخاروشي»، وتبعته خطوط شتى مثل: «أشوكا»، و«كوبتا»، و«پلوا»، و«ساراسواتي»، و«سردا». وكل هذا وذاك لم يحدث تغييرا في الاساليب والمعاني، وحتى في يومنا هذا تكتب لغة من لغات الهند - في عدة أشكال من الحروف. و اذا ثبت من المستساغ أن تكتب أية لغة في حروف اللغات الاخرى فلا يدل الخط على مصدر لغة أو أجزائها المركبة. وهنا أمر آخر يجب أن نضعه نصب الأعين عند البحث عن لغة أو فيها. وهو مدى تأثير اللغات الراقية في اللغات الأخرى، وهذا ليس بيدع في تاريخ اللغات

(١) تاريخ لغة اردو - للدكتور مسعود حسين .

(٢) البروفسور همايون كبير

و الثقافات . فكان من طبيعة الحضارات البشرية في كل دور من الادوار المدنية تبادل الافكار والمظريات والاساليب والكلمات . وأن اللغة التي تملك بتراتها القديم وتسد أبواب الاستفادة وتعيش في منأى عن طرق اللغات الشقيقة - سيما الراقية منها - لتحرم نفسها عن الترعرج والازدهار وتتخلف عن ركب الحياة المتطورة وتكون في ممر الأيام جامدة تمجها الاسماع وتلفظها الألسنة .

وأريد أن أقسم مقالى هذا عن « اردو » إلى ثلاثة أقسام بغية الاستيعاب والتعميم بقدر المستطاع (١) تاريخ لغة أردو ، (٢) تطوراتها ، (٣) آدابها الحديثة .

(١)

إن المكانة التي تمتاز بها « أردو » من بين اللغات الهندية الاخرى ليست وليد المصادفات المحضة بل ناتجة من التطورات الثقافية والسياسية التي دامت مئات السنين . و يتطلب البحث العلمى عن تاريخ نشأة لغة أردو وتطوراتها ومراكزها إلى تحوال حول تاريخ اللغات الآرية في الهند قديما وحديثا واللهجات الراجحة في مراكز « أردو » القديمة مثل دلهى ، وبنجاب ومدنها پرديش ، وبيهار وأترپرديش وغيرها :

الآريون ولغاتهم

ماهو الموطن الاصلى للآريين ؟ وماذا كانت لغتهم العامة ؟ وكيف انتشروا في أنحاء أوربا وآسيا ؟ وهذه أسئلة لاتزال تشغل أذهان الباحثين وتشكل مواضيع شيقة لعلماء الاجناس البشرية ومهرة الألسنة . والذى يجب أن نفهم أولا وقبل كل اعتبار ، أن وحدة اللغة لشعوب عديدة لا تدل على انحدارهم من أصل واحد كما أن تعدد اللغات لا يكون دليلا

على تعدد الأجناس وأن الكتب القديمة للآريين لا تقول شيئاً عن موطنهم الأصلي و تاريخ وصولهم إلى الهند بوجه التحقيق . وكان الناس يعتقدون في الماضي بأن الآريين قد أتوا من « التبت » ، فلا غرو في ذلك لأن التبت أول مسكن للإنسان على وجه الأرض حسب المعتقدات الهندوسية القديمة ولذا بدؤوا ينسبون انحدر الآريين إلى التبت نفسها .

ويرى بعض علماء السنسكريتية أن القبائل الآرية من أصل هندي ثم انتشرت إلى إيران وأوربا . وقد حاول «البانديت هري اوده» ، لاثبات هذا الرأي في كتابه الشهير « هندي بهاشا أور ساهتيا كاكاس » و سرد فيه آراء وأقوال عدة علماء من الأوربيين والهنود مثل سوامي ديانند ، و « شري نارايين بهون » ، وهذا القول مبنى على المعتقدات الدينية أكثر من الأدلة العلمية والشواهد التاريخية . وأن الكتب السنسكريتية القديمة لم تشر مطلقاً إلى كون الآريين منحدرين من أصل خارجي وفي الوقت نفسه لم تذكر أنهم نشأوا في أرض الهند وترعرعوا فيها . وأما الكتاب الهندوكي القديم « ريج ويد » (Rigveda) فيذكر عن الحروب التي جرت بين القبائل المحلية والآريين في فترات متراوحة ويتضح منه أن الآريين تقدموا إلى قلب القارة الهندية من سفوح شمال غربى الهند بطريق الغزو والفتح . ويقول البعض إن الآريين كانوا يستوطنون في شواطئ نهر « سرا سواتى » في بنجاب بينما يسجل البعض « قندهار » ، والتبت الموطن الأصلي لهم .

ووقع الاتفاق - إلى حد كبير - بين المحققين الجدد من علماء الألسنة على ضرورة البحث عن الموطن الأول للآريين في مناطق آسيا

الوسطى ويقول المؤرخ البنغالي المعروف الدكتور تشاترجى بأن مجال اللغات الهندية - الأوربية والحضارة الآرية كان ممتدا من بولندا وألمانيا غربا إلى سفوح جبال « يورال » في آسيا الوسطى شرقا . وعلى رأى البروفسور « شريدر » أن مناطق نهر « الجا » كانت مقر القبائل الآرية في أول الامر ومنها انتشرت إلى التواحي الغربية والجنوبية الشرقية . والجماعات المتوجهة إلى الغرب تنقسم وتستقر في مختلف الجهات في أوربا . وهكذا تولدت فيها لغات عديدة مثل : الارمنية ، واليونانية ، والايطالية والألمانية ، وغيرها وأما الجماعات المتوجهة إلى الجنوب الشرقي فتصل عبر شواطئ بحر القزوين إلى مناطق جبال « كند » الحالية . ومنها تنقسم إلى طائفتين فاحديهما تدخل إلى إيران الشرقية ومنها تصل إلى الهند بطريق وادي نهر « كابل » .

ومن المسلم بين المؤرخين القدماء والمحدثين أن الهند قد شاهدت عدة حضارات ولغات قبل الآريين ولغاتهم وحضارتهم وأن أقدم السكان في القارة الهندية - على ما وصل إليه التحقيق التاريخي إلى يومنا هذا - قبيلة « نيكرتيو » وأتى من بعدها رجال قبيلة « آسترك » من الهند الصينية ثم وصلت القبائل « الدراودية » من الجهات الغربية وبعدها وصل الآريون وبعض رجال القبائل التبتية - الصينية . وأن الآثار الدراويدية والآستركية لاتزال جزءا لا يتجزأ للحضارة الهندية المشتركة ولكن العناصر التي تركتها فيها قبيلة « نيكرتيو » مازالت موضوع البحث والتحقيق لدى المؤرخين وعلماء الآثار القديمة . وأما أثر القبائل التبتية الصينية فمنحصرة في شمالي شرق الهند .

ولا تعد الحضارة الهندية حضارة آرية خالصة وأن كلامن المنتصر والمنهزم يتأثر بثقافة الآخر ولغته وتتجلى هذه النظرية واضحة في تاريخ الدراوديين والآريين في الهند. وقد أثبتت الاكتشافات التاريخية الأخيرة بأن الآريين قد واجهوا لدى وصولهم إلى الهند حضارة عريقة موطدة الأركان وكانت تفوق حضارتهم في فواح عدة. والحضارة الهندية القائمة مزيج من العناصر الهندية القديمة والآرية. وأخذ الآريون عناصر كثيرة من المعتقدات والتقاليد الدراودية، ومنها الآراء الخاصة عن بعض الآلهة والمعبودات وكذلك الزى والعادات الاجتماعية. وقد اختلف المؤرخون في مدى الأثر الذي تركته اللغات «الدراودية» في اللغات الآرية وبالعكس ولا يرى الآن وجوداً للغات الدراودية في شمالي الهند كافة إقليمياً بمفردها ولكن مدى الآثار اللغوية والصوتية التي تركتها تلك اللغات في اللغات الآرية التي نشأت في أنقاضها وترعرعت في أحضانها لا يزال موضوع بحث لدى اللغويين في الهند وخارجها. وأن اللغات الآرية قد انتقلت بمرور الزمن من درجة الهندية الإيرانية، إلى درجة الهندية الآرية؛ وحاول أحد العلماء الهنود « شيش جري شاستري، في معرض البحث عن مصدر اللغات الهندية، لإثبات أن اللغات الدراودية كلها منحدرة من أصل سنسكريتي وأن أحسن تراث للحضارة القديمة الهندية غير الآرية الخط «البرهمي» الذي نشأ في الهند وتطور فيها، وهو الآن مأخذ حروف الكتابة لجميع اللغات الهندية ماعدا أردو. وكان الآريون يستخدمون هذا الخط منذ البداية للغاتهم القديمة والحديثة في البلاد الهندية.

السنسكريتية واللغات الآرية

تعتبر العصور التي تراوحت فيما بين القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي والقرن السادس بعده عصورا ذهبية في تاريخ نشأة وتطورات اللغات الآرية في الهند إلى جانب السنسكريتية واللهجات المحلية. وصارت هذه اللغات بين التيارين الرئيسيين، تيار الألسنة «البراكرتية»، (الفطرية) القديمة التي كانت تتقدم بسرعة فائقة بواسطة مساعي دعاة البوذية والجينية الذين التجأوا إلى لهجات عامة الشعب في دعواتهم وخطبهم ومواعظهم، وتيار «السنسكريتية الوبدية» الأدبية. وكانت السنسكريتية تحتل مكانة مرموقة لدى الأدباء والطبقات الأرستقراطية بينما أخذت «البراكرتية»، محلا مرضيا في أوساط الطبقات المتوسطة والقبائل المحلية القديمة.

وجدير بالذكر بأن اللغات «البراكرتية»، كانت متعددة ومختلفة اللهجات بحيث ينسب كل منها إلى المناطق التي تسود فيها. ومن «البراكرتية»، الهامة، التي أخذت شكلا أدبيا في تلك العصور، (١) «شورسيني»، السائدة في ضواحي «متهرا»، في شمال الهند، وكانت أعلى أنواع اللغات البراكرتية بعد السنسكريتية، وتوجد صلة وثيقة وقرابة هامة بينهما (٢) «ماگدهي»، الشائعة في جنوبي «بيهار». وكانت في منأى شامع عن المجال الأدبي لبعدها عن مراكز الحضارة الآرية، وانتشرت «ماگدهي»، في التخوم الشرقية لمناطق اللغات الآرية وآدابها. (٣) «مهراشترى»، ونالت «البراكرتية»، «المهراشترية» حينذاك تقدما ملموسا في الميدان الأدبي ووفرة المعاني ونهضة الأساليب وسجلات - بصفة خاصة - شوطا بعيدا في الشعر والموسيقى. ويقال بأن كثرة حروف العلة فيها قد ساعدت على تقدم هذين الفنين فيها. وصارت هذه

اللغة منتشرة في شتى جهات الهند القديمة حتى أصبحت لغة يفخر بها كل من يعرفها من ناطقي اللغات المحلية الأخرى، (٤) «أرده ماكدهي، أي مزيج من الماكدهية والشورسينية، السائدة في المناطق الواقعة بين بهار والهباد. وكانت تعرف هذه لدى أهالي دلهي «پوربي، أي لغة المشرق. ويقال بأن بوذا ومهاويرا مؤسس «الجينية»، كانا يشران بدعوتهما في أول الامر في هذه اللغة وأن العائلات الملكية كانت تستخدمها للشؤون الإدارية والأدبية على حد سواء فالت تقدما رسميا على اللغات البراكرتية الأخرى. وتركت أثرا مرموقا في الهندية الحاضرة السائدة في بهار وضواحيها. (٥) «البشاجية، التي كانت مستخدمة في بنجاب وكشمير. وهي أدنى أنواع اللغات البراكرتية أو الآرية. ويقول اللغويون بأنها بقايا لهجات القبائل القديمة الهمجية ولذا كان العوام يدعونها لغة «بهوت»، أو «پريت»، أي الأرواح الشريرة.

ويتجلى من المذكور أن كل لغة كانت تعرف منسوبة إلى منطقة معينة من الهند. ومن الحقيقة المحضة أن اللغات الدارجة - العامية - لا تمشي في جميع الاحوال مع اللغات الفصحى الأدبية. وعلى هذا في مكتبتنا أن نقول إن اللغات الآرية السائدة في مختلف جهات البلاد كانت تمثل - دائما - لهجات عامة الشعب ومحاوراتهم ولوقطعت شوطا بعيدا في الميدان الأدبي. وبعبارة أخرى فإن الاعمال الأدبية التي وصلت إلينا من تلك اللغات لا تدل بحكم الضرورة على اللهجات والمكالمات الدارجة في أوساط سكان منطقة معينة في فترة معينة من أدوار تاريخهم. وأن اللغة الأدبية لا تسير في جميع الاحوال في السرعة التي تتطور بها اللغة الدارجة (العامية).

❦ لغة « أب بهرنش » ❦

ومنذ القرن السادس للميلاد نشأت في الهند لغة جديدة آرية على أنقاض « البراكرتية » القديمة . وسادت هذه اللغة مختلف المرافق في البلاد إلى القرن العاشر الميلادي . ونظرا لمكانة « أب بهرنش » بدأت الطبقات المتعلمة والمهذبة تنصرف إليها وقيل إن اللغات الأوربية أيضا تأثرت بنفوذها وانطبعت بأدابها . وتركت أثرا فعلا في اللهجات الكجراتية والرجبوتانية والبيهارية . وقسم العالم اللغوي الشهير « ماركنڈ » « أب بهرنش » إلى ثلاثة أقسام (١) « ناكر أب بهرنش » وهي الصورة الأدبية للهجات كجرات وراجستان ولكن « شورسني » البراكرتية أثرت فيها تأثيرا بالغا حتى أن اشتهرت بأنها بتها ، وكان السبب الأصلي لتفوق « ناكر أب بهرنش » قبولها الذي نالته في أوساط الطبقة المتعلمة وكثرة التصانيف القيمة فيها .

❦ مصدر خط « ناكري » ❦

ان الحروف التي تكتب بها الآن « الهندية » تعرف بالحروف « الناكرية » . و« ناكر » في الأصل اسم طائفة من براهمة « كجرات » واشتهر الخط اللغوي الشائع في تلك المناطق خط « ناكري » فيما بعد حتى صار خطا عاما للغة الهندية في جميع الجهات الشمالية والغربية في القارة الهندية (٢) « براجڠل أب بهرنش » . وكانت شائعة في السند وأن اللغة السندية الحاضرة ناتجة منها ومركبة من أجزائها . (٣) « أب ناكر » فكانت راجمة في غربي « راجبوتانه » وجنوبي بنجاب . وهي مزيج من « ناكر » أي لهجات كجرات وراجستان المذكورة و« براجڠل » . وهكذا أخذت « أب بهرنش »

مكانة اللغة الأدبية الأولى من بين اللغات الآرية الأخرى العديدة . وأن الأشكال القديمة لجميع اللغات الموجودة الهندية تشبه - إلى حد كبير - شكل « أب بهرنش » ، في عصرها الذهبي الأخير أي أواخر القرن العاشر للميلاد وكانت اللغة التي سادت البلاد فيما بين قترتي « أب بهرنش » ، واللغات الراهنة لغة « أوهت » ، وفيها أيضا تكونت نهضات أدبية جمّة . ومن الصعب أن نحدد الفترة التي انتهت فيها « أب بهرنش » ، ونشأت اللغات الحاضرة . ومع كون التطورات اللغوية تحدث في غاية البطء والتدرج فيكون للتقلبات السياسية والاجتماعية دخل كبير في الإسراع باستبدال لغة بأخرى وإدخال تغيرات في أساليبها وأصولها . وهناك دلائل أثرية تقول إن اللغات الموجودة قد تأصلت جذورها عقب الهيجان السياسي الذي حدث في أواخر القرن العاشر الميلادي ، وعاصره وصول المسلمين إلى القارة الهندية حاملين حضارة جديدة وثقافة تمتاز عن التي مارستها الهند في الماضي . وفي الوقت ذاته نشطت حركات دينية هندوسية في شتى أنحاء البلاد ، فانتشرت الأشعار « الويدية » ، والكتب الدينية في مختلف اللغات الإقليمية . وهكذا تحررت الحركات الدينية بين الهندوس من احتكار « السنسكريتية » . وبدأت اللغات الجديدة تقوم بذاتها بعيدة عن النفوذ السنسكريتي التقليدي مع أن السنسكريتية مازالت لغة العلوم العقلية والفلسفة القديمة .

وأما الحكام المسلمون فكانوا يشجعون اللغات وآدابها وفنونها ، سيما العلمية منها طبقا لذوقهم الطبيعي في هذا المضمار ومن الدليل الساطع على هذه الحقيقة التاريخية العلامة أبر الرحمان « البيروني » ، الذي واز الهند في القرن الحادي عشر وقضى فيها عدة سنين يحقق في العلوم

الهندية ويبحث علماء الهند وينظرون في مواضيع علمية عديدة . وأدرك بثاقب فكره أهمية اللغة السنسكريتية في تحصيل العلوم القديمة فكرس أوقاته في التبحر في هذه اللغة والمناظرة والبحث مع العلماء السنسكريتيين المعروفين « بيانديت » في الهندية . وخلاصة القول : أن اللغات الهندية الجديدة قد نشأت من لغة « أب بهرنش » وايسست من اللغات « البراكرتية » القديمة .

بداية « الهندوستانية »

إن « الهندوستانية » بالمعنى العام لغة مشتركة من «أردو» و«الهندية» الحالية . وكانت تعرف من قبل باسم : «كهزى بولى» وماثرى إلا فرقا دقيقا بين الهندية ، وأردو من حيث اللغة ، فبينما توجد كلمات فارسية أو عربية عديدة في أردو نجد الفوذ السنسكريتى أكثر في « الهندية » منه في «أردو» وأما اختلاف الحط فلا يعتبر - كما أسلفناه دليلا ماديا على اختلاف اللغات وكل من الهندية وأردو وليد « شورسنى أب بهرنش » . وقيل بأن اللغات الهندية المحلية العديدة الحاضرة منحدرة من نفس الأصل (« شورسنى أب بهرنش ») مثل راجستانية ، وبنجالية ، وكجراتية واللهجات القبلية السائدة في شرقى الهند ، وأما اللغات البيهارية ، والآسامية والبنغالية والأوروية فيرجع أصلها إلى « ماكدهى أب بهرنش » ومعنى هذا كله أن اللغات الهندية الراهنة فتوجد بينها وبين « أب بهرنش » قواعد مشتركة وأساليب عامة فليس المعنى أنها كانت لغة واحدة قبل أن تتخذ أشكال اللغات المختلفة الراهنة بل هو أمر محال وقوعه في قارة واسعة الأرجاء مثل الهند . وأن الاختلافات الإقليمية لأمر طبيعى في مثل هذه الحالات ولو كانت أسودها لغة عامة رئيسية . (يتبع)